مجلة البيان – العدد 35 ، جمادى الآخرة 1411هـ / يناير 1991م

الافتتاحية

دفاع عن المنهج

عـنـدمـا قلـنا في العدد الأول من "البيان" إننا ملتزمون بمنهج أهل السنة ، لم يكن هذا منا رفـع شـعــار أو تمحور حول شكل حزبي ضيق ، نتعصب له وندافع عنه بالحق والباطل، فـهـذا المـنـهـج فـي الـفـهم، والاستدلال أكبر من هذا وهو التيار الوسط الذي استمر خلال الـعـصـــور بعيداً عن الغلو والتقصير ، وبعيداً عن التأثر بالمناهج التي وفدت على المسلمين مبكراً سواء جاءت من الشرق الفارسي الهندي أو من الغرب اليوناني. وهذا المنهج هو الذي يمثل الفهم الصحيح للكتاب والسنة، والمسلمون أفراداً وجماعات ملزمون باتباع هذا المنهج والـبـحـث عـن أصـولــه وتفاصيله، والاقتراب منه ما أمكنهم ذلك، لأنه هو الذي يصحح المسار ويصحح المفاهيم وليس للمسلمين خيار في ذلك.
في هذا العدد سـيــرى القارئ أننا نبين ونوضح زيف طريقتين في الهجوم على السنة وأهل السنة :
طريق أهل الاستغراب الذين نهلوا من ثقافة الغرب وراحوا يتشدقون بالمنهجية والموضوعية كطريق بعضهم الذي راح يعيث فساداً بالكتابة عن الإسلام ، وبأسلوب دعيّ سمج ، يزعم فيه امتلاك وسائل النقد لكل ما هو موجود تحت يده من النصوص (نصوص القرآن والسنة) وكل تراث الإسلام ، وما إن سمع به أصحاب الاتجاهات اليسارية أو العلمانية أو قُل أي عدو للإسلام حتى طبلوا له وزمروا ، وأطلقوا عليه لقب (مفكر إسلامي) وبدأوا بــنـــشـــر المقالات عنه وعن كتبه في مجلاتهم وصحفهم ، وسيقال للشباب المسلم (وخاصة في أوربا) هذا رجل يكتب بموضوعية وهو أستاذ في (السوربون) ، ولذلك كان لابد من الكتابة عــن محمد أركون .
هـذا فـي الـغـرب وفي المشرق هناك أساتذة جامعات مشهورون ، لهم مؤلفات يتبعهم عليها كثير من الشباب ، ولكن دأبهم الذي وهبوا حياتهم له هو محاربة الاتجاه (السلفي) ، هذا الصنف من المشايخ يظن أنه أعلم من غيره لأنه مدرس في الجامعة ولذلك يجب على الكل أن يستمعوا له ويصيخوا ، فراح يكتب بجرأة عجيبة وبأساليب ملتوية مهاجماً منهج أهل السنة ، وكأن الحقد والحرب واحدة ، سواء جاءت من رجل صفيق كأستاذ السوربون ، أو جاءت من شيخ كالذي كتب عن (السلفية) منتقداً لها بغير حق ، صاباً جام غضبه على (ابن تيمية) ، زاعماً أن هذا الاتجاه المبارك - اتجاه التمسك

بالكتاب والسنة اللذين هما المحجة البيضاء - اتجاه خاص بابن تيمية وليس اتجاه خير القرون.
إن الأمر وصل إلى الحد الذي لابد فيه من التصريح بعد التلميح، ولا يجوز السكوت عنه، خاصة عندما تكون الأسماء لها شهرة واسعة بين أوساط المسلمين، وقديماً قـيل : "من ألَّف فقد استُهدف" . ونحن من جهة أخرى نرثى لحال هؤلاء لأن منهج أهل السنة في الفهم والاستدلال هو الذي سينتصر بإذن الله.

((واللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ))[يوسف: 21] .

البوطي ... والمنهج

عبد القادر حامد

"إن من طبيعة المنهج ، أياً كان ، أنه يكتشف اكتشافاً ولا يبدعه الباحثون والعلماء إبداعاً ... " [ص60 ، من كتاب البوطي "السلفية"] .
يكتشف الباحث منهج البوطي - وهو منهج من المناهج على كل حال - من خلال استقراء ما يكتب، غير أنه مع تقديمه هذه المقدمة الحاسمة لا يترك لنا حرية اكتشاف هذا المنهج بأنفسنا ، ولا ندري ماذا وراء ذلك : هل هو شك في قدرات قرائه ، وعدم اطمئنانه إلى أنهم قادرون على الاكتشاف؟؛ لذلك يعرِّف لهم المنهج حتى لا يتركهم في حيص بيص؟ أم أن كلمة المنهج عنده كلمة من جوامع الكلم. لها معانٍ كثيرة يصعب حصرها ؟! لا ندري!
لذلك يعرف لنا المنهج كما يلي :

"ماذا نعني بالمنهج ؟ وما الشروط التي يجب أن تتوفر فيه ؟ .

إنـنـا نـعــني بكلمة (المنهج) المعنى الذي يريده كل أولئك الذين يستعملون هذا المصطلح في نـطـاق دراسـاتـهـم وبـحـوثهم العلمية، نعني بها الطريقة التي تضمن للباحث أن يصل إلى الحق الذي يبتغيه، ولا يضل في السعي إليه بين السبل المتشعبة ، ولا يلتبس عليه بالحق فـيـركـن إلـيـه ظـانـاً أنه الحق الذي يبحث عنه ويسعى إليه، سواء أكان هذا الحق الذي يـبـحـث عنه خبراً يريد أن يتبين صحته أو أن يعلم مضمونه ، أم أطروحة علمية يريد أن يعرف دلائل صحتها أو بطلانها" [ص60 من كتابه] .
أمـا أنـا فـقـد قـرأت هـذا الـتـعـريـف عدة مرات متهماً عقلي بعدم القدرة على فهمه، لعل الإعادة تفتح لي ما انغلق، وتكشف ما استتر، ولكنني أخيراً سلمت بأن هذا التعريف أشبه ما يكون بالشعر الحر الذي لا تستسيغه أذواق

وعقول الكثير من القراء ؛ إما لفقر وتخلف في مـقـدرتهم الثقافية أو لفراغه وخُلوه من أي معنى، وكل من الرأيين له جمهوره وقائلون به.
إن من صفات التعريف أن يصاغ بعبارة جامعة مانعة محددة حتى يتمكن القارئ من الفهم ، وخاصة في القضايا العلمية ، لكن البوطي لا يأبه - كما قلنا - بما تعارف الناس عليه ، ويحب أن يأتي بما لم يأتِ به الأوائل ! كيف لا ؛ وهو أديب فنان يطمح - وهو في قمة تسنُّمه مهمة البحث العلمي - أن يستخدم العبارات المجنحة التي تلفت إليه الأنظار.
وها نحن نبدأ بتحليل تعريفه للمنهج لعلنا نظفر بما عجزنا عنه أثناء القراءة .
يقول:"إننا نعني بكلمة (المنهج) المعنى الذي يريده كل أولئك الذين يستعملون هذا المصطلح في نطاق دراساتهم وبحوثهم العلمية" . اقرأ هذه العبارة ورددها مرة ومرة ومرة ، هل تفهم مـنـهـا تـعـريـفـاً، وهل تزيدك علماً بشيء ؟ طبعاً لا ! فمَن هم أولئك الذين يستعملون هذا المصطلح ؟ من أي ملة هم ؟ . وأي دراسات وأي بحوث؟ ، لعل التوضيح يأتينا بعد كلمة (نعني)! "نعني بها الطريقة (طريقة ماذا؟) التي تضمن للباحث أن يصل إلى الحق الذي يبتغيه" .
كل باحث يعتقد أن ما يقوله ويصل إليه هو الحق ، فهل هذا هو الحق في المنهج الإسلامي ؟ وكثير من بغاة الباطل يطلقون على مبتغاهم اسم الحق !
وقبل أن نخرج من هذه الدوامة في تعريف المنهج ، يدرك البوطي بكياسته وذوقه الدقيق جداً أننا بحاجة إلى تحديد كلمة الحق ، فيحددها ، وكأنه أحس أن تعريفه يحتاج إلى شروط كي يصبح تعريفاً له شَبه بالتعريفات ، فهل تظن أنه يُقر عينك بذكر هذه الشروط ليجعلك تشعر بالراحة وتتنفس الصُّعَداء ؟!
لا ، لن تفرح بذلك! فهذه مشكلتك ، عليك حلها بنفسك ! اسمعه يقول :
" وأما شروطه (المنهج) فبوسعك أن تعرفها من خلال إدراكك لطبيعته ومهمته" . وإذا ما أخفقت في معرفة هذه الشروط فهذا يعني أنك لا تدرك طبيعة المنهج ولا مهمته! وإذن فأنت لست جديراً أن تكون من قرائه ، ولست مقصوداً فيما يكتب ؛ لأنه :

عليه نحت القوافي من معادنها وما عليه إذا لم تفهم

إن القارئ سيصيبه الدوار إذا ما ظن أنه - بترديده ما كتب البوطي عن المنهج - يمكن أن يظفر بشيء ، وسوف يكتشف أخيراً أن الرجل يتلاعب بعقله ليوهمه أن ما كتب حول المنهج له معنى متماسك ، إنك تطالبه بشروط المنهج حتى تتضح معالمه فيقول لك : "بوسعك أن تعرفها من خلال إدراكك لطبيعته ومهمته" ، ثم يمضي بك موهماً أنه ذكر شروطاً ، لكن حين تريد أن تضع بداية ونهاية لهذه الشروط وتحصرها في عبارة واضحة لها دلالة فإنك تطلب المستحيل !
وتمضي في القراءة لتعثر على عبارة تظن أنها ستفتح لك ما استغلق ، وتكشف ما غمض ، فتكاد تصيح مثل أرخميدس :"وجدتها" ، إنها قوله :

"إذن فمن أهم شروط سلامة المنهج ..." لكنك تتبين أن هذه العبارة وما بعدها ليست بداية الشروط ، بل نهايتها ، واخيبتاه! فترجع أدراجك إلى الفقرة السابقة وقد فركت عينيك ووسعت حدقتيهما وأحددت النظر بهما لتبحث عما كانت العبارة السابقة فذلكة له فتجد شيئاً مثل :
"فقد كان الإنسان بحاجة إلى أن يرصد خطوات هذا المنهج في أغوار فكره ، وأن يتلمس آثارها في شغاف وجدانه (العرب تعرف شغاف القلب ، فما الوجدان ؟ وما شغافه ؟!) وساحة شعوره ، ثم يصوغها في عبارات دقيقة ، ويصبها في قواعد منضبطة ، ثم يجعل منها مشعلاً هادياً في طريقه إلى المعرفة ، وملاذاً يتقي به الشرود في أودية التيه والضلال.
وهكذا فإن تحول المنهج الفطري من شعور وتفاعل خفي في الفكر والنفس إلى قواعد مدونة مضبوطة ماثلة للعيان ، من شأنه :
أن يـجـمـع شـوارد الأفـكـار عليه ، وأن يبعد عوامل التلبيس والكيد عن التسلل إلى ساحة المعرفة، ودائرة النظر والمحاكمة العقلية في الذهن، في حين لو بقي شعوراً غامضاً في النفس وفطرة مستكنة في أغوار الفكر؛ لأمكن أن تتسلل إليه الشوائب، وأن تحاط بعوامل الغموض والريب ، وأن يغشي عليها المبطلون بزخرف القول وزيف الأدلة الباطلة" . [ص61]
أرأيت إلى هذه الخطبة العصماء خطبة ولا خطبة زياد البتراء !
سنحاول أن نشير إلى خطوط عريضة في منهج البوطي - الذي هو غير منهج السلف قطعاً ، وكون منهجه غير منهج السلف أمر يسره ويسر السلف والحمد لله - وسنستخدم عبارته هو في طريقة تناولنا لهذا المنهج المبتكر! فنحن ليس لنا حياله إلا: "الرصد، ثم الاكتشاف ، ثم الصياغة والتقعيد. أما الإبداع والاختراع فإن المنهج أبعد ما يكون عن أن يأتي ثمرة لذلك" :

1- استهانة بالمراجع :

يتعامل البوطي مع المراجع تعاملاً غريباً وعجيباً، وكما سبق أن قلنا، فإنه يخرق الأعراف والتقاليد ، ويحب دائماً أن يكون نسيجاً وحده ، فتراه يحيلك على كتب ويذكر أرقام أجزاء وصفحات ، فتحب أن تتأكد لا من النقل ذاته والإحالة نفسها أحصلت أم لا- ولكن من سياق العبارة ، فتفاجَأ بعدم وجود ما يتحدث عنه البتة ، كما حدث في صفحة 47 من كتابه حيث أحال على كتاب "الاعتصام" للشاطبي، ج2، ص242، وبعد الرجوع إلى هذا الموضع من كتاب الاعتصام لا تجد أثراً للموضوع الذي يتحدث عنه.
وكذلك فعل في صفحة 37 فأحال على "المدخل" لابن الحاج ، ج4 ، ص155 ولا أثر لما أحال من أجله في ذلك الموضع ! بل وجدنا في "المدخل" 4/157 ما يلي : "وقد نقل عن السلف - رضي الله عنهم - أنهم كانوا لا ينخلون الدقيق، ونخله من إحدى البدع الثلاث المحدثة أولاً" ؛ لكن البوطي يجعل هذه العبارة هكذا : "ومعلوم أن الروايات تواردت (!!) عن السلف أنهم كانوا في

أول عهدهم لا ينخلون الدقيق وأنهم يرون نخله بدعة". [ص39] ، وكذلك فعل في أكثر من مكان فمما يتعلق بإحالاته على "فتح الباري" ؛ ففي صفحة 135 أحال على "الفتح" ، ج 7 ، ص82 وج3 ، ص315 ولم نجد في هذين الموضعين شيئاً مما ذكر ، بل وجدنا ما له تعلق بثاني الإحالتين في ج3 ، ص 342 ، وسنرجع إلى هذه الإحالة لنرصد ماذا فعل البوطي بها من الأفاعيل ! .
وأمر آخر يخرق البوطي به الأعراف العلمية ، ويبعج البحث العلمي بعجاً ، وهو تداخل عبارته بالعبارة المنقولة أو المحال عليها ، فيصبح بين العبارتين تزاوج أو اتحاد ، ولا يمكن التمييز بعدُ بين عبارة الناقل وعبارة المنقول له ، وتمتزج الأمور بصورة طريفة ، وهناك أمثلة كثيرة في كتابه لهذا الأمر ، وسنكتفي بذكر مثال واحد - مع أنه مثال طويل - ولكن ماذا نفعل ؟! فإن البوطي يأبى إلا أن يحمل قراءه على أصعب الخطتين. وهذا المثال إحالة إلى "الرسالة" للشافعي.
يتكلم البوطي كلاماً طويلاً لسنا الآن بصدد تحليله ، ثم يختم كلامه هذا برقم ترجع إليه في الحاشية لتقرأ : انظر باب (العلم) من كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي 357 بتحقيق أحمد شاكر ، وتتحير بعد قراءة هذه الحاشية : هل هذا الكلام الذي سبق وكتبه هو كلامه أو كلام الشافعي ؟ أو شرح لكلام الشافعي ؟ إن كان كلامه ؟ فَلِمَ أَحال على الرسالة ؟ .
وإن كان كلام الشافعي ؛ فَلِمَ لَمْ يحصره بين حاصرتين حتى نعرف بدايته ونهايته ؟!
وإن كان شرحاً لكلام الشافعي فلِم لم يذكر ذلك ؟
كلها أسئلة تحتاج إلى جواب.
ومع أننا سنجد صعوبة في تحديد بداية نقلنا لكلامه ذاك ، لكننا سنلجأ إلى الخرص والتخمين في ما يمكن أن يكون بداية - ونحن مكرهون على ذلك يشهد الله ، ومعذورون لذلك إن أخطأنا التحديد . يقول: "فإذا فعل المسلم ذلك؛ فلا بد أن يصل إلى العلم بحقائق هذا الدين الذي جاء به كتاب الله . وسيجد عندئذ أن هذا العلم ينقسم إلى قسمين:
الـقـسـم الأول: عـلـم يشمل عامة الناس، على اختلاف مداركهم ومنازلهم العلمية، ما داموا عقلاء راشدين. فلا يعذر أحد في جهله ، ولا سبيل إلى اقتحام شيء منه بأي تأويل له أو تنازع في فهمه أو خطأ في روايته. وهذا العلم يشمل كليات العقائد وبدهيات الفروض والأحكام، كالعلم بفرضية الصلوات الخمس وأن لله على الناس صيام شهر رمضان ، وحج البيت إذا استطاعوه ، وأن عليهم زكاة في أموالهم ، وأنه حرم عليهم الربا والزنا والقتل والسرقة والخمر .

فهذا الصنف من العلم موجود كله نصاً في كتاب الله ، ومعروف عند أهل الإسلام عامة ، ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم ، يحكونه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه.
وسبيل هذا الصنف منه هو ما يسمونه بقطعي الدلالة والثبوت . أي كل نص وصل إلينا من مصدره بطريق التواتر ، وكانت صياغته ودلالته على معناه من الوضوح بحيث لا يحتمل أي تأويل له أو أي خطأ في فهمه.
ومن أحكام هذا النوع من العلم أن الناس كلهم مكلفون به ، ولا يسع بالغاً غير مَغْلوبٍ على عقله جهلُ أي شيء منه. ومن أحكامه أيضاً أن الاجتهاد غير وارد فيه ؛ إذ الاجتهاد قد لا يرقى بصاحبه في كثير من الأحيان فوق درجة الظن ، وقد يقع فيه الخطأ ، ثم إن الناس متفاوتون في القدرة عليه ، مختلفون في النتائج التي يصلون به إليها. وهذا القسم من العلم مبرّأ ، كما قد أوضحنا ، من ذلك كله" .[ص73 من كتابه] .
أما كلام الإمام الشافعي المحال عليه فهو :
"قال الشافعي: فقال لي قائل: ما العلم ؟ وما يجب على الناس في العلم؟؛
فقلت له: العلم علمان: عالم عامة لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهله.
قال: ومثل ماذا ؟
قـلـت: مـثـل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر ، وما كان في مـعـنـى هـذا، مما كُلِّفَ العباد أن يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفوا عنه : ما حرم عليهم منه.
وهذا الصنف كله من العلم موجود نصاً في كتاب الله ، وموجوداً عاماً عند أهل الإسلام ، ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم ، يحكونه عن رسول الله ، ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم.
وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر ، ولا التأويل ، ولا يجوز فيه التنازع .
قال : فما الوجه الثاني ؟
قلت له : ما ينوب العباد من فروع الفرائض ، وما يخص به من الأحكام وغيرها ، مما ليس فيه نص كتاب ، ولا في أكثره نص سنة ، وإن كانت في شيء منه سنة ، فإنما هي من أخبار الخاصة ، لا أخبار العامة ، وما كان منه يحتمل التأويل ويُستدرك قياساً .
قال : فيعدو هذا أن يكون واجباً وجوب العلم قبله ؟ أو موضوعاً عن الناس علمه ، حتى يكون من علمه منتفلاً ومن ترك علمه غير آثم بتركه ؟ أو من وجه ثالث ، فتوجدناه خبراً أو قياساً ؟
فقلت له : بل هو من وجه ثالث" .[الرسالة ، ص357] .

ومن هذين النصين المنقولين يظهر لنا أن كلام الشافعي يختلف عما أوهم البوطي أنه كلام الشافعي ، وأن القارئ العادي الذي قد يكون على عجلة من أمره قد يغتر بتلبيسه بتلك الحاشية المدلسة التي تجعله يظن أو يعتقد أن الشافعي قال ذلك الكلام !
فقارن مثلاً بين عبارة الشافعي حيث يقول :
"وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر ، ولا التأويل ، ولا يجوز فيه التنازع" وبين ما فهمه البوطي منها بقوله :
"وسبيل هذا الصنف منه هو ما يسمونه (مَن هم ؟!) بقطعي الدلالة والثبوت ، أي كل نص وصل إلينا من مصدره بطريق التواتر (الشافعي لم يذكر التواتر) وكانت صياغته ودلالاته على معناه من الوضوح بحيث لا يحتمل أي تأويل له أو أي خطأ في فهمه" .
وقل مثل ذلك في إشارته إلى كتاب "الفرق بين الفرق" للبغدادي عند تعرضه للمرجئة في ص112 ، حيث عرَّف المرجئة تعريفاً لم يشر إليه البغدادي لا عند إشارته إلى المرجئة إجمالاً في أول كتابه ولا حين فصَّل القول في هذه الفرقة ومذاهبها فيما بعد. وتفصيل عبث البوطي في هذه القضية وحدها يحتاج إلى مقال خاص.
أما قصته مع ابن تيمية فهي أمر يحتاج إلى وقفة خاصة ليس هذا وقت الحديث عنها. ولكننا نكتفي بضرب مثال على تصرفه وتلاعبه بكلام ابن تيمية من أجل أن يقيم الحجة عليه وعلى مَن ينصر آراءه ، وأسلوبه هذا يذكّر بأسلوب الشيعة في الاحتجاج ، حيث إنهم ينتقون من آراء أهل السنة ما يظنون أنه حجة عليهم مع أنهم لا يؤمنون هم - أي الشيعة - بمصادر أهل السنة ، وهي عندهم لا تصلح للاحتجاج ؛ لأنها تعارض ما اصطلحوا عليه من أنه أدلة لهم.
يقول : "ومن ذلك ما رواه ابن تيمية - رحمه الله - عن جعفر الصادق (رضي الله عنه) ، من تأويله (الوجه) في قوله - تعالى - : ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وجْهَهُ))[القصص:88] ، بالدين . وما رواه عن الضحاك من تأويله (الوجه) في الآية ذاتها بذات الله والجنة والنار والعرش. أما هو - أي ابن تيمية ذاته - (بلحمه وشحمه وعظمه ودمه!) فقد رجح أن يؤول (الوجه) بمعنى الجهة ، فيكون المعنى : كل شيء هالك إلا ما أريد به جهة الله - تعالى - .
ثم قال : "وهكذا قال جمهور السلف" [ص135] .
أما ابن تيمية فقد أشار إلى هذه القضية ضمن كلام رائع له في الرد على القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، لكن البوطي اقتطع من كلام ابن تيمية ما ظن أنه نصر لحجته ، ثم يا ليته اكتفى بهذه الإساءة بل أشبع هذا المقتطع مسخاً وتشويهاً ، أما عن حقيقة الدافع له إلى ذلك : أهو الهوى أم قصر الباع أم ضيق الصدر؟ فهذا ما نتركه للقارئ ليكتشفه بنفسه.

يقول ابن تيمية :
"روي عن أبي العالية قال : "إلا ما أريد به وجهه" وعن جعفر الصادق : "إلا دينه" ومعناهما واحد" . وهذا مخالف لقول البوطي : "روى ابن تيمية عن جعفر الصادق" ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى معلوم ماذا يعني اصطلاح : رُوي ، بالبناء للمجهول ، عند أهل الحديث .
ثم نقل ابن تيمية ما ورد من الأقوال في الآية على عادته في الاستقصاء ، وهو من خلال سوقه لهذه الأقوال يتوقف مناقشاً مؤيداً أو معترضاً ، وقد يستطرد قليلاً لجلاء نقطة يرى توضيحها من بحث لغوي ، أو فقهي ، أو تاريخي ، أو غير ذلك ، ثم قد يعود لمتابعة نقله الأقوال ، إما معضداً رأياً رآه ، أو لاستبعاد وهم قد يطرأ ، وشبهة قد تثار. هذا هو أسلوب الرجل ، وهو لذلك يحتاج إلى شيء من الصبر وسعة الصدر حتى يُتذوَّق ، وتنفتح عجائبه ، وتكتشف أوابده ، ولكن أنَّى لرجل نَزِقٍ ضيّق الصدر أن يصبر على ذلك ؟! وكيف به إذا جمع إلى ذلك هوى مستحكماً وعقدة نفسية من ابن تيمية ؟!
ثم بحث ابن تيمية عن اشتقاق كلمة (الوجه) مما يبدو أن البوطي لم يفهمه لضيق صدره ، فقال - أي ابن تيمية - :
"وذلك أن لفظ "الوجه" يشبه أن يكون في الأصل مثل الجهة ، كالوعد والعدة ، والوزن والزنة ، والوصل والصلة ، والوسم والسمة" . لكن فِعْلَة حذفت فاؤها وهي أخص من الفعل ، كالأكل والإكلة ، فيكون مصدراً بمعنى التوجه والقصد ، كما قال الشاعر :

أستغفر الله ذنباً لست مُحصيَهُ ربَّ العباد إليه الوجهُ والعملُ

ثم إنه يسمى به المفعول ، وهو المقصود المتوجه إليه ، كما في اسم الخلق ، ودرهمٌ ضَرْبُ الأمير ، ونظائره ، ويسمى به الفاعل المتوجه ، كوجه الحيوان ، يقال : أردت هذا الوجه ، أي هذه الجهة والناحية ، ومنه قوله : ((ولِلَّهِ المَشْرِقُ والْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وجْهُ اللَّهِ))[البقرة:115] ، أي قبلة الله ووجهة الله ، هكذا قال جمهور السلف" [مجموع الفتاوى:2/429] .
ومن قراءة النص الأصلي لابن تيمية لا النص المحرَّف - نستنتج أنه لم يؤول كما زعم البوطي بل استدل بما ورد من أقوال السلف في هذه الكلمة ، وبلغة العرب التي يهوِّل بها البوطي كثيراً حتى لتظنه الخليل بن أحمد أو ابن جني ، وهو ليس بذاك .
ولو ذهبنا لتتبع تعامل البوطي مع المراجع - في كتابه هذا فقط - لطال الكلام ، ولكن حسب القارئ الكريم أن يعرف أن هذه القضية فرع لما أشرنا إليه في مقالنا السابق عنه من خيلاء ضارة، واستهانة بأقدار الناس أحياءً وأمواتاً ، وسوء تقدير لهم ، وإساءة ظن بهم، قدر إحسانه الظن بنفسه ، هداه الله .

التواء وتهويل :

الـشـيـخ الـبـوطـي يحب التهويل، حتى ولو أوقعه هذا التهويل فيما لا تحمد عقباه، فمن حـيـث الأسـلـوب عـنـده القدرة التعبيرية التي تريك المهم هيناً، والهين السخيف عظيماً ومشكلة لابد لها من هز الأكتاف وقرع الظنابيب، حتى يُتَغَلَّبَ عليها، وهذه القدرة تذكرنا بالبراعة التي عُرف بها الفارابي في الموسيقى - فيما زعموا - أنه في أحد مجالسه مع سيف الدولة لم يعجبه عزف العازفين الذين عزفوا أمامه ، وأظهر أخطاءً كثيرة لكل واحد منهم، فتعجب سيف الدولة من ذلك وسأله إن كان يحسن هذه الفنون، فأجاب بالإيجاب ، ثم أخـرج من وسـطـه خـريـطة (جراب من جلد) ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها ثم عـزف بـهـا، فضحك كل مَن كان في المجلس، ثم فكها وركبها تركيباً آخر، وضرب بها، فبكى كل مَن كان في المجلس! ثم فكها وغيَّر تركيبها وضرب بها ضرباً آخر ، فنام كل من كان في المجلس حتى البواب! فتركهم نياماً وخرج !

وإليك هذه الفقرة التهويلية التي يمهد فيها لاكتشاف الصحابة والتابعين للمنهج - والذي سبق أن سميناه منهج البوطي - ليقول :

"الآن، وقد اتضح لك ذلك؛ ينبغي أن نتبين حجم المشكلة الخطيرة التي انبثقت عن ذلك التطور الكبير، صحيح أن تلك العوامل أدت إلى خروج الصحابة من نطاق حياتهم الخاصة المتميزة التي فتحوا أعينهم من داخلها (مرجع الضمير هنا على حياتهم الخاصة أو على أعينهم ؟! البوطي أعلم، وعلى كلا التقديرين فالكلام مستقيم! وهذه صفة جوامع الكلم!) على الإسلام ومبادئه ، وساحوا تحت وطأة ظروف لا قِبَلَ لهم بالإحاطة بها أو السيطرة عـلـيـهـا، (مـسـاكـين الصحابة - رضي الله عنهم - !) في حياة جديدة (الجار والمجرور مـتـعـلـق بـسـاحـوا) ذات آفـاق أوسع غير أن المشكلة التي واجهتهم (انـتـبه! هذه مشكلة المشاكل) أنهم نظروا، فوجدوها آفاقاً بعيدة لا تستبين لها معالم ولا حدوداً. وليس في يدهم مـن وراء الـنصوص (نصوص كل من القرآن والسنة) مقياس يحددون به معالم تلك الحياة، بحـيـث يقـيمـون عل أساسه ضوابط للسير فيها وحدوداً للوقوف عندها (ألا تكفي نصوص الـقـرآن والسـنة مقـيـاساً لتحديد معالم تلك الحياة وأساساً تقام عليه ضوابط وحدود ؟ يا شـيـخ!!) فـكـان ذلك مـبـعث اضطراب وقـلـق، وخلافات حادة، (مَن قال إن الإسلام جاء رحـمـة للـعالمـين ؟! ألـم يـكـن نقمة على الصحابة ومَن جاء بعدهم؟! وقد عانى الصحابة بسببه هذا العناء المعنى، وهذا الاضـطـراب والـقـلـق والخلافات الحادة. هذا ما يفيده كلام الـدكـتـور، وما شهدنا إلا بما علمنا !)، بل سبباً في ظهور فرق وفئات شتى، اتخذت من تلك البـيـداء الـواسـعـة طـرائـق مـتخـالـفـة، بـل مـتخاصمة، وكان لابد لهذه المشكلة أن تستمر بينهم إلى حين" . [ص45] .

هذا مقطع - فقط - من تهويلات الرجل. ولسنا ندري على وجه اليقين ما الذي يدعوه إلى مثل هذه التهويلات، أهو قد استعار هذا الكلام من أحـد المسـتشرقين، أو ممن تـأثـر بهم، ثـم نـسـي المصدر، أو تـنـاساه؟!، إنه كلام يشبه كلام طه حسين في كتبه التي عالج فيها الـتـاريـخ الإسـلامـي، كالفتنة الكبرى وغيرها، وإن شئت فقل: إن كلامه عليه مسحة من اعـتـقـاد الـرافـضـة في الـصـحابة، أما عن تأثر الشيخ بالمستشرقين فقد يكون الدافع له إلى ذلك عقدة النقص وحب الظهور عنده ، خاصة وأنه يدندن ويهول بمناظرات وما يسميه منازلات لبعض رموز من يطفون على سطح الفكر حواليه ممن يسرّه أن يقرن بهم ويتمسح بمسايرتهم ، وهذا واضح من إصراره على تعبير "منهج المعرفة" وترديده له كثيراً في ثنايا كـتـابه، ألـيـسـت هـناك مجلة شهيرة ليست على مبعدة منه - يكتب فيها من يتطلع إلى مسامتتهم اسمها مجلة "المعرفة" ؟! .
إن كان الأمر كذلك فنقول له :

ألهى بني تغلِب عن كل مكرمة قصيدةٌ قالها عمرُو بن كلثوم !

وأضفْ إلى المثال السابق من أن كلامه أشبه بكلام المستشرقين ، الفقرة الأخيرة من ص 48 من كتابه فسوف تجد هذا الكلام لا يختلف عن مناهج المستشرقين في تحليلهم ونظرتهم إلى الفكر الإسلامي بشيء.
وأما أن كلامه عليه مسحة من اعتقاد الرافضة في الصحابة فاقرأ كلامه التالي الخارج من صدر ضيق تفوح منه رائحة الحنق : "فمن التزم بمقتضى هذا الميزان ، فهو متبع كتاب الله متقيد بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سواء أكان يعيش في عصر السلف أو جاء بعدهم ، ومن لم يلتزم بمقتضاه ، فهو متنكبٌ عن كتاب الله تائه عن سنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - وان كان من الرعيل الأول (يا لطيف) ولم يكن يفارق مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " !! [ص79]
بل يحتج ببعض الرافضة ومؤلفاتهم ، وفي مؤلفات أهل السنة غنية له ولغيره على هذه القضية التي يعالجها [انظر الحاشية في ص43 من كتابه] .
بل يستنعج (يصبح كالنعجة بجامع النعومة وحب السلامة في كلٍّ) عندما يتعرض للشيعة، فيشير إلى حقيقة معروفة عندهم، بل هي من أصول مذهبهم، بل تكاد تكون أصول مذهبهم كلها قامت من أجل هذه القضية، وهي إنكار إمامة الشيخين (أبي بكر وعمر)، فتراه عندما يشير إليها كأنما يقترب من أفعى سامة متربصة بمن يقترب منها، فيقول هذه العبارة التي تطفح بالوجل والتدسس والنعومة :
"وعلى سبيل المثال نقول: (لمجرد المثال فقط، فنرجو المعذرة !) إن إنكار إمامة الشيخين، وهـو مـذهـب يـراه كـثـير من الشيعة (وليس جميعهم ! ولاحظ تنكير كلمة "مذهب" أيضاً) لـيـس كـفـراً، (الحـمـد لله) وإن كان

خروجاً على الإجماع" [ص107] (يعني ماذا إذا كان خروجاً على الإجماع؟!)
ولنكن على ذكر من هذا الاعتذار الناعم حينما نناقش معه نزوله بـسـاحـة ابـن تـيـمـية وثورته وفورته وانتفاخ أوداجه هناك على شيء لم يخرق ابن تيمية الإجماع فيه قطعاً ، ولكن ناقش دعوى الإجماع على قضية فهم منها أعداؤه - وأخيرهم البوطي - أنه يقول بهذا الرأي الذي ناقش دعوى الإجماع عليه ، مع أنه لا يناقض نفسه - رحمه الله - .
ويقول في عبارة أخرى ملتوية :
"ومن ذلك ما يجزم به بعض الناس (!!)، مـن أن في أئـمـة أهـل البـيت مَن قد وصلوا إلى منزلة لم يبلغها ملَك مقرب ولا نبي مرسل! وممن يجزم بذلك ويقرره في منشوراته ، الإمام الخميني" .
لاحظ الالتواء في عبارة: "بعض الناس"، ولاحظ ما في هذه العبارة:"مـن أن فـي أئـمـة أهل البيت من قد وصلوا..." وكأنه لا يدري أن القول بعصمة الأئمة الاثني عشر من أصولهم! وليس هذا فحسب، بل إنه سأل بعض علماء الشيعة الإيرانيين عن كيفية اتفاق هذا الكلام مع أصول الإسلام وكلياته الأساسية فقال : إنها غلطة من المترجم! فتعجب هو من "أن الكتاب طُبع منذ ذلك الحين مرات متعددة، وغلطة المترجم لا تزال باقية!"[حاشية، ص112 من كتابه] .
ونحن أيضا نعجب ، لكن لا من غلطة المترجم هذه ولكن من تعجبه وعدم معرفته وتجاهله أن التَّقِيَّة من أصول القوم !
لكن مع هذا يبقى عندنا شك من إثارته هذا الاعتراض على مَن ذكر من علماء الشيعة، وذلك أنه من المؤكد أن الشيخ قد حضر مؤتمراً لهم في لندن في 18 من ذي الحجة 1410هـ الموافق 11/7/1990م للاحتفال بيوم الغدير (1)
وشاهد وسمع على الطبيعة - كما يقولون - كيف يفكر القوم ، وكيف يحتفلون ، وسُبَّت أمامه وعلى مرأى ومسمع منه السنة وأهل السنة الذين ينتسب إليهم سباً مقذعاً ، ولكن لم يبلغنا أنه أنكر على دهاقينهم ذلك المنكر لا بقليل ولا بكثير من إنكاره الذي ينكره على من يشاركونه عدم اعتبار الإمامة والعصمة والرجعة من أصول الدين ، بَلْهَ مشاركتهم له في أشياء أخرى ! (2)

مشكلة المناخل !!

ولنختم هذه التهاويل بواحدة تعيدنا إلى حيث بدأنا إلى [ص46] من كتابه ، وهي مشكلة المناخل! ونحب أن تكون مُلحة الوداع ومسك الختام ، ولسنا - والله - ندري مِمَّ نضحك أكثر ؟ من هذه المشكلة التي ألقت بظلها الكئيب على الصحابة الكرام وعصرهم ؛ فكانت اختباراً لقوتهم وحكمتهم وصمودهم ، وامتحاناً للمبادئ التي تلقوها من محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله سلَّم !...

نقول : نضحك أكثر من مشكلة المناخل هذه أم من عرض الشيخ لها واحتفاله بها بتعاظمه المعهود ، وأسلوبه الطريف الذي يزاوج فيه بين الخبر والإنشاء بركانة وزكانة ؟ حيث يقول :
"... لقد ظهرت المناخل فيهم فجأة ، (فجأة ، وقعت عليهم وقوع الصاعقة !) وما كان لهم عهد بها من قبل ، (أين كانت مختبئة؟! بل من الذي اخترعها؟! قد يجيب الشيخ لم يكن هناك سجل لبراءات الاختراع حتى نعرف مخترع المناخل! ثم لا زلنا نطلب مزيد تعريف بالمناخل هذه فيزيدنا الشيخ شكوراً) : وهي من أدوات التنعم والترفه في المأكل ، مما لم يكن يعرفه العرب ولا المسلمون من قبل. (إن العرب عند الشيخ هم أكلة الضِّبَاب واليرابيع ، وصورتهم عنده كصورتهم عند الفرس عندما يتحدثون عنهم !) فما الذي ينبغي أن يتخذوه؟
أيتبعون في ذلك سنن الصحابة الذين من قبلهم ، فيجتنبون استعمال المناخل في نخل الدقيق ، نظراً لأن ذلك بدعة مستحدثة وكل بدعة ضلالة (معاذ الله! هذا لا يمكن !) أم يُجارون الزمن وتطوراته ، (هذه أهون! لابد من مجاراة الزمن وتطوراته !) وينظرون إلى المسألة على أنها من الأعراف المرسلة عن قيود الاتباع وعدمه ، ولا علاقة لها بشيء من الأحكام التعبدية التي قضى بها الإسلام ؟.
وأيا كان الموقف المتخذ ، فما هو الميزان أو البرهان المعتمد في ذلك ؟" .

حاشية تكميلية !

جواباً للقراء الذين لم يعرفوا الجواب الشافي على تساؤل الشيخ الثاني البادئ بقوله : "أم يجارون الزمن ...." نفيدهم أن الصحابة الكرام - بعد نقاش عاصف أدى إلى ارتفاع اللهجة ، وتكدير الخواطر ، وأنذر بانفضاض مجلسهم على غير اتفاق ؛ مما كان سيكون له أشأم العواقب، وأقلها - لا سمح الله - شرخ (ونؤكد على كلمة شرخ) في وحدة الكلمة، واجتماع الصف التي انتصروا بها على فارس والروم... نقول بعد تلك الحادثة التي كان سيكون لها ما بعدها جاروا الزمن وأجمعوا على استعمال المناخل، عملاً بأخف الضررين! وهي قاعدة معتبرة في الشريعة ، ونخبرهم أنه ما كان لهم أن يصلوا إلى هذا الإجماع المبارك لولا المنهج الذي صاروا إليه ، وساروا عليه ، والذي : رصده ، ثم اكتشفه ، ثم صاغه وقعَّده الدكتور الشيخ ، أو الشيخ الدكتور "البوطي" خلال العشر الأولى من القرن الخامس عشر الهجري.
*يتبع *

الهوامش :

1- يوم الغدير : هو اليوم الذي يزعم الشيعة الاثنا عشرية أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أوصى لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالنص على أن يكون الخليفة من بعده.

2- أُنشد أمام الشيخ في ذلك المؤتمر قول الرقيع الصاحب بن عباد:

حب علي بن أبي طالب هو الذي يهدي إلى الجنة
إن كان تفضيلي له بدعةً فـلـعـنة الله على السُّـنَّة !

وقلنا لنَقَلَة الخبر : أنتم متأكدون أن الدكتور كان حاضراً وكان يسمع؟ ؛ لعلهم استغلوا غيبة قصيرة له لقضاء حاجة مثلاً فقالوا ما قالوا ؟!

فقيل لنا : بل كان جالساً وموجوداً بذاته وعمامته! فقلنا :

ذُمَّ المنازلَ بعد منزلة اللوى والعيشَ بعد أولئك الأيامِ

خواطر في الدعوة

دعوة عامة

محمد العبدة

من الأخطاء التي وقعت بها الدعوة الإسلامية في العصر الحديث - ولعلها تحاول تلافيها الآن - التركيز على المدن من جهة وعلى الشباب المتعلم من جهة أخرى، ولا نقول إهمال الـريــف وجماهـيـر الأمـة بـشـكل عام، ولكنه شِبه إهمال، والحجة في هذا أن المدن فيها الجامعات والمدارس الثانوية وهي بؤر الشباب المتعلم.

لا جدال في أهمية الشباب المتعلم ، ولكن هل هذا كافٍ وحده للتغيير المنشود ، وهل يـقـع الـتـغـيـر دون الـتـفـاف الجماهير حول الدعاة والعلماء، الذين يـبـصـرون الـناس بدينهم ويقودونهم إلى الغاية المطلوبة.

إن طاقات الأمة ليست محصورة بفئة معينة ، فقد يتفوق مَن هو صاحب فطرة سليمة وحب للدين على صاحب دراسات وكتب.

وعـنـدمـا وضـع الـرسـول - صلى الله عليه وسلم - الـعـرب فـي الطريق الصحيح تفجرت طاقاتهم وهم أمة أمية، ونشاهد الآن في أوربا مَن يصل إلى الوزارة بل إلى رئاسة الوزراء ممن لم يدخل الجامعة قط ، ولكنها الخبرة والتجربة والذكاء .

كنت في زيارة قريبة لبلد عربي ، وصلَّينا مع بعض الزملاء في مسجد قرية من قراه ، كانت وجوه الناس تدل على الطـيـبـة وأصالة المعدن ولكن - وفي الوقت نفسه - كانت تدل على أنه لا يأتيهم أحد يعلّمهم أمور دينهم، ويصبح مرشدهم، ويستفتونه في كل صغيرة وكبيرة، ويطيعون أوامر الشرع من خلال توجيهاته ، وتذكرت أن بعض القرى في بلد عربي آخر لا تـبـعـد عن العاصمة إلا أمـيـالاً وأهـلـها من أجهل الناس، وكان الدعاة وطلبة العلم في هذه العاصمة لا يكلفون أنفسهم عناء الذهاب إلـيـهـم لـلـدعـوة، كما تذكرت ما حدثني به أحد الإخوة الأفاضل - وكان يومها طالباً يدرس في الـقـاهـرة - عندما ضمه مجلس مع أصحاب الاهتمام بالدعوة وشـؤونـهـا، فـسـألهـم عـن

هـذه القضية وهل وقعت الدعوة في هذا الخطأ فـاهـتـمـت بالمـتـعـلـمـين من أهل المدن بشكل خاص، فأجاب أحدهم نعم؛ لأن المدن فيها الجامعات والمدارس ! ، فقال لهم : وما ذنب الريف وباقي جماهير الناس ؟! .
لقد تبين مع الأيام أن الدعوة إن لم يلتف حولها الناس جميعهم ، وتصبح قوة يهابونها - فلا تستطيع أن تحقق أهدافها ؛ لأن أي ظالم يمكن أن يدَّعي أمام الشعب أن هؤلاء الشباب متهورون، متطرفون، معزولون في بعض الزوايا الخاصة إلى آخر قائمة الاتهامات المعروفة ، ولكنه لا يستطيع أن يستغفل الناس ويقول : هؤلاء الدعاة والعلماء والتجار والصغار والكبار والنساء ، كل هؤلاء يتسترون بالدين.
إن العلماء والدعاة الذين يتكلمون بالحق وبه يعدلون هم الذين تثق بهم الأمة، وهم المؤهلون للتغيير.

فكر

محمد أركون ومعالم من أفكاره

محمد بن حامد الأحمري

تطورت في عصرنا هذا وسائل الدعاية لكل شيء بمقدار لم يسبق له مثيل ، هذه الدعاية في قضايا الكماليات ووسائل الراحة قد تكون معقولة إلى حد ما ، لكن الغريب من أصناف هذه الـدعـايـة، الدعاية الفـكـرية لعامة الكـتاب والشعراء والروائيـين إلى درجة تدفع إلى السأم وعدم الثقة بأي شيء يشتهر من كتاب أو كاتب أو صحيفة ، فيجعلك هذا لا تثق بالشهرة لأي عمل، إذ قـد يـكـون في غـايـة الرداءة والفساد لكن جيوش الإعلام والترويج تحاصرك حتى تفقد بصيرتك. وقد حاصرتـنـا الدعاية في زمانـنـا ورفـعـت فـي وجوهنا مجموعة من الكتاب والمفكرين والأدباء، وألصقتهم في وجوه ثقافتنا كرهاً، وألزمتنا بهم وحاصرتنا كتبهم في كل زاوية ، وليس هذا الحصار فقط بين العرب ، بل لقد شكت إحدى المستشرقات وقالت : إن أدونيس لم يـقـل شـيـئـاً ولكن اللوبي الأدونيسي هو الذي أعطاه الأهمية" ! . هذا الجيش الدعائي من وراء كتاب صغار أو مغالطين كبار هو الذي أعطاهم أهمية كبرى في عالم الكتاب العربي .
قال أحد القراء لقد رأيت كتب أركون ولفت انـتـبـاهـي الدعاية الكبـيـرة لها؛ فذهبت مع القوم واشتريت منها وقرأت الأول والثاني فما أحسست بفائدة ولا ساعدني الفهم ، وقلت كاتب متعب ولكن زادت الدعاية للرجل فقلت في نفسي : النقص في قدرتي على الدراسة والفهم ، وسكتُّ وخشيت أن أقول لأحد : لا أفهمه ، حتى إذا كان ذات يوم جلست إلى قارئ وكاتب قدير وتناول

كتاب "تاريخية الفكر العربي الإسلامي" وقال : لقد حاولت أن أفهم هذا الكاتب أركون فما استطعت ، فـكـأنمـا أفـرج عني من سجن وقلت : رحمك الله أين أنت فقد كنت أبحث عن قارئ له يعطيني فـيـه رأياً ، لا الذين أكثروا من الدعاية له دون دراية.
وحـتـى لا تـضـر بـنـا الـمـبالغة في هذا إليك نموذجاً للدعاية الأركونية : علق هاشم صالح مترجم أركون إلى العربية في آخـر كـتاب "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد" يقول هاشم : بعد أن تركت محمد أركون رحت أفكر فـي حـجـم الـمـعـركـة الـتـي يخوضها بكل ملابساتـها وتفاعلاتها ، وهالني الأمر فكلما توهمت أن حدودها قد أصبحت واضحة محصورة ، كلـما اكتشفت أنها متشابكة معقدة ، شبه لا نهائية. هناك شيء واحد مؤكد على أي حال : هو أن محمد أركون يخوض المعركة على جبهتـيـن جـبـهـة الداخل، وجبهة الخارج، جبهة أصوليي المسلمين ، وجبهة أصوليي المستشرقين :
وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيْك تميل ؟ (1)
هذا مثل مما يفعل هذا المترجم ، وقد يفاجئك مراراً بالمدح في وسط الكتاب أو في المقدمة أو في الهامش (2) أو في لقاءاته مع أركون التي تمثل جزءاً كبيراً من أعماله ؛ فهذه طريقة في الكتابة جديدة إذ يُجري المترجم حواراً حول أفكار أركون بعد كل فصل أو في آخر الكتاب كما في "الفكر الإسلامي قراءة علمية" ، أو "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد".
أثناء قراءة أعمال أركون قد تصادفه ينقد مدرسة عقائدية أو فـقـهـيـة ، ويحاول أن يـقـول إنها خرافة، وأسطـورة دغمـائـيـة كـمـا يحـلـو له أن يـكـرر، وتقول : لعله ينصر المدرسة الأخرى ، فهو إما شيعي أو خارجي ، ثم يخرج عليك في صفحة أخرى وهو يعرض بعدم معقـولية فكرة الإمامة لدى الشيعة (3) ، ثم في مكان آخر لا يـتـفـق مـع الإسـلام الـسـنـي المتزمت في نظـره (4) علماً أن السني عنده هم الأشاعرة ، وأما أحمد وابن تيمية فيدعوهما حنابلة مـتـزمـتـيـن . وتحاول جاهداً أن تقف تماماً على ما يريد فإذا هو متناقض لا يؤمن بشيء ولا يرى أن لهذا الـعـلـم أو التراث الإسلامي أي مكانة إلا في عين المدارس النقـدية الغربية ؛ فما أقرته فهو الحق والمحترم - كنص للدراسة ليس أكثر من نص بشري قـابـل للأخذ والعطاء - وما لا تقره المكتشفات الأسلوبية اللغوية الاجتماعية والنفسية المعاصرة فإنه لا يرى إقراره والاهتمام به لقدمه وتخلفه عن العصر.
ولعل كـتـاب "الفـكـر العربي" أول كتبه المترجمة إلى العربية وفيه تلخيص غامض لجُل ما قال في الكتب الأخـرى ، وأشار فـيه بكثـير من التحفظ إلى آرائه في القرآن والسنة والشيعة والحداثة والتجديد.

عـنـد أركون أهداف واضحة لمن يـسـتـقـرئ أعماله ويصبر على الـتـزويـر والمراوغة واللعب بالكلمات في غير معانيها حتى يحصل على هدفه الكبير من كل مـشـروعـه وسـيـأتي بـيان الهدف بعد ذكر وسائله إليه .

الوسائل :

أول وسائله نقد الكُتاب الإسلاميين الذين ليست لهم صلة بالمدارس الغربـيـة فـي الـفـكر ، والذين ليس لهم إلمام بعلوم اللسانيات والاجتماع والنفس والنظريات التي خرجت - فيما يرى - بعد الخمـسـيـنـات مـن هـذا القرن الميلادي ، وبالتالي يطالبهم بالمشاركة والدراسة لمستجدات النظريات الإنسانية الغربـية ، ثم هو يستخدم نظريات ميشيل فوكوه في مسائل المعرفة والسلطة ، ويرى تاريخية المعرفة وبكوْنها قابلة للتغيـيـر والتطوير والشمول ، وأهم جوانب المعرفة التي يتحدث عنها المعرفة الديـنـيـة بـكـل أبـعـادها ، ويرى اعتبار المعرفة الإسلامية نموذجاً أسـطـوريـاً لابـد أن يخـضع للـدراسـة والـنـقـاش - كما سيأتي - ويرى المجاهرة باعتبار العلوم الإسلامية سياقـاً مـعـرفـيـاً أسطورياً يزعج المسلمين ويهز إيمانهم ، ولكن لابد - كما يرى - من بناء مفاهيم جديدة مستمدة من الاحتياجات الجديدة كما فعل السلف، ويرى أن هناك مناطق عديدة في الفكر الإسلامي لا تمس ولا يفكر فيها مثل مسألة عثمان - رضي الله عنه - وقضايا جمع القرآن، والـتـسـلـيـم بـصحـة أحاديـث الـبـخاري والموافقة على الأصول التي بناها الـشـافـعـي، ويـرى أنه يـضـع أساساً للاجتهاد وعقلانية جديدة (5) ، وهو يرى أن الوعي الإسلامي قد انشق فيما بـيـن الـسنة والشيعة ، والوسيلة عنده ليست بالتوفيق بين الجانبين ولا الانتقاء منهما إنما الوسيلة نـقـد الطرفين وهو يعتنق "النقدية الجذرية" للطرفين وإسقاط كل الحجج التي بأيدي الجمـيع ، وبالتالي فإن النص السني مغلوط ومزور والنص الشيعي نص العدالـة والـعـصـمـة مـغـلـوط ومـزور وأسـطـوري، والمطلوب أن يتحرر كل من الفريقين من نصه فيتوحدان (6).

الأهداف :

من أهم ما يهدف له أركون في كتاباته المـكـررة والمملة نزع الثقة من القرآن الكريم وقداسته واعتباره نصاً أسطورياً (7) قـابـلاً للـدراسـة والأخذ والـرد. وهو يغالط كثيراً في معنى كلمة "أسطورة" ويقول : إنه يعاني من صعوبة هذه الكلمة على أسماع العرب الذين يربطون بـين هذه الكلمة وبين الأكذوبة أو الخرافة، لكن ما هي الكلمة التي يستخدمها أركون في تعبيره عن القرآن باللغة الفرنسية التي يكتب كل كتبه بها.

إنه استخدم كلمة MYTHE وبالإنجليزية MYTH وكلتا الكلـمـتـيـن تعني الخرافة أو الحكاية والكلمتان جاءتا من الكلمة الإغريقية MUTHOS وهي تـعني في

جميع اللغات الأوربية حكاية خرافية شعبية تتحدث عن كائنات تجسد - بصورة رمزية - قوى الطبيعة والوضع الإنساني (8).
ثم إذا سلم بهذه الأسطورة - بزعمه - فإنها أولاً لم تصلنا بـسـند مـقـطـوع الـصـحـة؛ لأن القرآن -كما يقول - لم يُكتب كله في حياة الرسول - صلى الله عـلـيـه وسـلـم - بل كُـتب بعض الآيات ثم استكمل العمل في كتابة القرآن فيما بعد (9) وهذه من الـمـغـالـطـات الـتـي يسوقها أركون بكل سهولة ويخلط فيها ما بين قـضـيـة الجمع وقـضـية الكتابة ، وبزعم أن الظروف السياسية هي التي جعلت المسلمين يـحـافـظـون فـقـط على قرآن واحد ويتركون ما عداه (10).
ومن أجل أن يمهد لما يريد من إنكار القرآن سنداً في أول الأمـر يدخل بعد ذلك إلى نصوص القرآن فيشكك في القصص والأخبار ويرى أن التاريخ الواقـعـي المحسوس هو الذي يحاكَم إليه القرآن ، فالأخبار والآثار التاريخية هي الـمـوثـوقـة! ولـنقرأ له هذا النص الذي يجد القارئ في كتبه كثيراً مثله يقول :
"ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس" (11) .
ويرى أن القرآن عمل أدبي لم يدرس كما يجب إلا من قِبَل ندرة أهمهم عنده "محمد أحمد خلف الله" عندما كتب عن القصص الفني في القرآن وقال إن القصة الـقـرآنـيـة مـفـتـعـلـة، ويتحسر على عدم استمرار "خلف الله" ويذكر أن الأسباب التي لم تمـكـن "خلف الله" في عمله أنه راعى الموقف الإسلامي الإيماني أولاً ، وثانـيـاً : لنـقـص المعلومات. إذن فقد آل الأمر إلى أركون الذي سيهاجم القرآن؛ لأنه لا يراعي الموقف الإسلامي الإيماني لأنه مطلع على الأبحاث الجارية. ومع زعمه أنه يعرف الأبحاث الجارية التي كتبها فوكوه والحاخام دريدا ؛ فإنه يظهر للقارئ بـشـكـل يجعله لا يثق في قدرة أركون ولا أنه فهم ما زعم فهمه من قضايا المعرفة ونقد اللاهوت ونـظريات البنيوية وما بعدها (12) ، ويعاني في عرضه للأقوال من عدم التوثيق أو القول الصحيح لما يـنقـل ؛ إذ يقلب كل قضية قرآنية أو تفسـيريـة أو سـيـاق لعلم حتى يفـسد المعنى ويلويه إلى ما يريد كما مر معنا في مسألة كتابة القرآن ، ومثال آخر يعرِّف الوحي بـقـولـه : "إنـه يـُدعَى بالتنزيل أي الهبوط من فوق إلى تحت" (13).

معاني القرآن :

لو تجاوزنا قضية شكه في القرآن وردّه للسنة من باب أَوْلـى فـمـاذا يـفـسر به القرآن وكيف يفهمه، إنه يـقـول : "إن الـقـرآن - كما الأناجيل - لـيـس إلا مـجـازات عالية تتكلم عن الوضع البشري ، إن هذه المجازات لا يمكن أن

تكون قانوناً واضحاً، أما الوهم الكبير فهو اعتقاد الناس - اعتقاد الملايين - بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون شغال وفعال ومبادئ محدودة تطبق على كل الحالات وفي كل الظروف" (14) .
ويقول في موضع آخر :
"إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تُتلقَّى بصفتها تعابير أدبية ، أي تعابير محورة عن مطامح ورؤى وعواطف حقيقية يمكن فقط للتحليل التاريخي السيولوجي والبسيكولوجي اللغوي - أن يعيها ويكشفهما" (15).
ويفصل أركون بين القرآن والشريعة ، فالقرآن عنده "خطاب مجازي يغذي التأمل والخيال والفكر والعمل ويغذي الرغبة في التصعيد والتجاوز ، والمجتمعات البشرية لا تستطيع العيش طيلة حياتها على لغة المجاز" (16) ولكن هناك البشر المحسوسون العائشون - كما يقول - في مجتمع وهناك أمورهم الحياتية المختلفة التي تتطلب نوعاً من التنظيم والضبط وهكذا تم إنجاز الشريعة (17) ثم يعقب بأن هناك مجالاً أسطورياً مجازياً وهو مجال القرآن، ومجال آخر واقعي للناس هو مجال الشريعة ويقول : "إنه وهم كبير أن يتوقع الناس علاقة ما بين القرآن والشريعة التي هي القوانين الشرعية وأن المناخ الميثي (الأسطوري) الذي سيطر على الأجيال السابقة هو الذي أتاح تشييد ذلك الوهم الكبير ، أي إمكانية المرور من إرادة الله المعبر عنها في الكتابات المقدسة إلى القوانين الفقهية (الشريعة) وحجته في ذلك ما يلي : في الواقع أن هناك أنواعاً مختلفة من الكلام (من الخطاب) وهناك فرق بين خطاب شعري أو ديني ، وخطاب قانوني فقهي أو فلسفي ، ولا يمكن لنا أن نمر من الخطابين الأولين إلى الخطابات الأخرى إلا بتعسف واعتباط"(18) ألا ترى أنك يا أركون قد استطعت أن تمرق من الخطابين .

مكانة السنة عنده :

ليس هذا مجالاً لمتابعة هذه الأقوال والرد عليها، فيكفي هنا التعريف بمعالم فكره بما فيها جرأته على الشك في ثبوت وصول القرآن إلينا ، وجرأته على نفي الحديث والزعم بأن الظروف السياسية وأوضاع المجتمعات التي انتشر فيها الإسلام احتاجت إلى أحاديث وقال : "إن السنة كُتبت متأخرة بعد موت الرسول - صلى الله عليه وسلم - بزمن طويل وهذا ولّد خلافات . لم يتجاوزها المسلمون حتى اليوم بين الطوائف الثلاث السنية والشيعية والخارجية ، وصراع هذه الفرق الثلاث جعلهم يحتكرون الحديث ويسيطرون عليه لما للحديث من علاقة بالسلطة القائمة"(19) . وهو يرى أن الحديث هو جزء من التراث الذي يجب أن يخضع للدراسة النقدية الصارمة لكل الوثائق والمواد الموروثة كما يسميها (20)، ثم يقول:

"وبالـطـبـع فـإن مـسـيـرة الـتـاريخ الأرضي وتنوع الشعوب التي اعتنقت الإسلام - قد خلقت حالات وأوضاعاً جديدة ومـسـتـحـدثـة لـم تـكـن مـتـوقعة أو منصوصاً عليها في القرآن ولا في الحديـث، ولكي يـتـم دمجها وتمـثلها في التراث فإنه لزم على المعنيين بالأمر أن يصدقوا عليها ويقدسوها إما بواسطة حـديـث للنـبي ، وإما بواسطة تقنيات المحاجة والقياس" . (21)
الشريعة والحياة تلك هي مكانة الشريعة عنده وهذه مكانة أحاديـث الـرسـول - صلى الله عليه وسلم - إذ لا يرى أي تشريع جاء به الـقـرآن، وأن الـقـرآن خـطـاب أدبي عاطفي لا علاقة له بـالـحـيـاة، والـشـريعة ضرورة اجتماعية أملتها ظروف المجتمع وحاجة الناس، وهي في مجموعها تراث إذا قـابـلـت في الطريق ثقافة مجتمع آخر أو استجد شيء فإن هذا الجديد يدمج في هذا التراث بواسطة حديث أو قياس ، وهو يناقض نفسه تماماً ، إذ لو لم تـكـن الـشـريـعـة من غير هذين المصدرين كأساس لما سعى المعنيون بالأمر - كما يسميهم - لفعل ما كذبه عليهم. وهذا مـثـال واحد كبـيـر من الـغث والانحراف والكفر الذي يملأ به كتبه، كله يناقض بعضه بعضاً، وكفاه زوراً أو جرأة على كتاب الله قوله : "وليس في وسع الباحثين أن يكـتفـوا اليوم في الواقع بالتكرار الورع للحقائق الموحى بها في الجزيرة العربية في القرن السادس والتي طُرحت مـنـذئـذ على أنها بآن واحد مما يمكن تعريفه واستخدامه وأنها متعالية"(22) وهو يرى أن الباحـثـيـن - يعـنـي نـفـسـه ومَن تابعه - (إذ حتى كبار الكفار من المستشرقين لم يحملوا على القرآن والسنة والأمة كالحملة التي يقودها أركون ولم يستطيعوا القول بكل هذه الافتراءات في آن واحد) لا يسعهم تـطـبـيـق الـقـرآن لأنه نـزل في الـجـزيـرة فـي ذلـك الـزمـن الـقـديـم،وهـو لا يرى نفسه وهو يقدس ويستسلم لبقايا قوانين الرومان، بل ويحاسب الإسلام على أفكار فـوكـوه هل تـتطابق معها أم لا ، ويقول في نفس الوقت بأن القرآن حقائق، وقد سبق أن قال إنه مجازات عالية وقد أجمع القائلون بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نـفـيـه ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر (23) ، علماً بأن المجاز بالأسلوب الذي يريده أركون أبعد بكثير من المجاز الذي حدث فيه الخلاف بين المسلمين والذي قال فيه الشنقيطي إن وروده في القرآن غير صحيح ولا دليل يوجب الرجوع إليه من نقل ولا عقل ونحن ننزه القرآن على أن نقول فيه مجاز بل نقول كله حقائق . (24)
ونقل الشنقيطي عن عدد من العلماء عدم جواز المجاز في اللغة أصلاً فضلاً عن القرآن وهو - أي الشنقيطي - ممن يرى هذا، وأركون لا يرى أن آيات الأحكام هي المجاز، ولا آيات الصفات كما قال بعض السابـقـيـن الـمخالفـين لأهل السنة، لكنه يرى كل القرآن مجازات عالية ، ومرة يقول متعالية أي تكون بعيدة عن المجتمع سياسة واقتصاداً واجتماعاً ، إنما تهذيب روحي لا علاقة له بالدنيا.

وليس هذا مكان الحديث عن المجاز ولا الخلاف فيه . لـكـن جـاء بمـنـاسـبـة خلط أركون وتـنـاقـضـه؛ إذ يـقـول : القرآن حقـائـق نزلت قديماً ثم يرجع ويقول مجازات عالية . إن أركون يهدم كل شيء ولا يقيمك على سنن ولا يثق بأحد ولا بعلم أحد، فهو يسخر من كل مَن سبقه حتى يسخر من الطبري ومن طريقته في التفسير. وما دام قد اجـتـرأ عـلـى كـتاب الله وسنة رسوله كل هذه الجرأة فماذا يتوقع القارئ عن غيرها. وهـنـاك جـوانـب عـديـدة يستنكرها كقضايا الثواب والعقاب والبعث بعد الموت (25) . ويـرى فـي آيات الـقرآن التي تحدثت عن الجنة وثوابها سياقات شعرية ، وأيضاً يرى رمزية العذاب.

خلاصة :

يرى أركون أن القرآن والكتب السابقة تعاني من سياق واحد ، ويضع القرآن مع الأناجـيل في مستوى من الثبوت والدراسة واحد ، ويرى أهمية النقد والتجديد. وعمله هذا النـقـدي السلبي النافي - الذي يمسخ كل الحقائق وكل المعاني - لا يمكن بحال أن يـكـون مـذهـبـاً فكرياً بديلاً ؛ بحيث يحل محل شيء من الفرق أو الجماعات التي وجدت عـلـى الساحة الإسلامية وليس بأسلوب يمكن قبوله من قِبل السنة أو الـشـيـعـة؛ ذلك أنه يلـغي الجميع ويرى العدمية(26) التي يقدمها هي البديل أو التجديد ، فالشك والجحود بـكـل شيء لن يكون أبداً بديلاً للإيمان ، إذ هذا العدم لا يكون ديناً ولا يبني خلقاً ، وهو يرى - مع هذا - ضرورة النظام في حياة الناس ويرى أهمية القوانين وهذه القوانين عنده تـنشئها الضرورة الاجتماعية ، لكن أي مجتمع وأية قوانين ، أما المجتمع فلا يرى أركون أن يكون للإسلام سلطة علـيـه؛ لـذا فـلـيـس للإسلام أن يسن أي قانون في ذلك المجتمع إذ ليس للإسلام في نظره أي قانون ولا علاقـة بـالـوجـود ، وهـو قد بذل وعصر كل سمومه وآفات الملحدين في الغرب لينكر المصادر أولاً ثم لو افترض إثـبـاتها فليس لها حقائق ولا معاني تمس الناس ، ثم إذا فهم منها معاني فتلك المعاني جاءت للحاجة والضرورة ؛ لأنه لم يكن هناك قوانين في المجتمع. وقد علق أحدهم على نمط تفكـيـر أركون وأسلوب تعامله مع النصوص فقال : إن تجديدية أركون هي تجديـديـة عدمـيـة ولا نحسب أن مسلماً عاقلاً يهتم لقراءة أركون النافية (27) وهذا ملخص لبحث مطول يتناول كتب ومقالات أركون ، ومع أن أعماله غير معقولة لكن - ويا لَلأسف! - إن الذي يـتـحكم في سلوك وأفكار العالم الإسلامي اليوم هو (اللامعقول) لهذا يحتاج إلى بيان .

الهوامش :

1- الفكر الإسلامي فكر واجتهاد ص335 ، "حقاً إن أركون أشد على الإسلام هجوماً من مفكري الروم وسيأتي بيان ذلك".

2- انظر الكتاب السابق ص254 ومواقع عديدة في "الفكر الإسلامي قراءة علمية".

3- أركون ، مقابلة مع أدونيس ، مجلة "مواقف" ، عدد رقم 54 - ربيع عام 1988 ، ص10.
4- أركون ، الفكر العربي ، ترجمة عادل العوا ، ص128 والفكر الإسلامـي نـقد واجتهاد ص9. ولعل كتاب "الفكر العربي" أول كتبه المترجمة إلى العربـيـة وفيه تلخيص غامض لجل ما قال بعد في الكتب الأخرى وفـيـه إشـارة بكـثـير من التحفظ إلى آرائه في القرآن والسنة والشيعة والحداثة والتجديد.
5- عيسى بلاطة ، توجهات وقضايا في الفكر العربي المعاصر ، ص89-90.
6- رضوان السيد ، الإسلام المعاصر ، ص190.
7- محمد أركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص202 وما بعدها.
8- محمد العربي الخطابي ، مقال بعنوان "الأسطورة الأصلية في رأي أستاذ جامعي" ، جريدة "الشرق الأوسط"26/2/1990.
9- محمد أركون الفكر ، الإسلامي نقد واجتهاد ، ص85-86..
10- المصدر السابق ، ص86.
11- أركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص203.
12- انظر مجلة الحوار ، عدد 9 ، ص117-118.
13- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص79.
14- تاريخية الفكر الإسلامي ، ص299.
15- الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص191.
16- تاريخية الفكر الإسلامي ، ص299.
17- المصدر السابق ، ص299..
18- المصدر السابق ، ص299.
19- أركون ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص102.
20- أركون ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص103.
21- أركون ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص108.
22- أركون ، الفكر العربي ، ص174 ترجمة عادل العوا .
23- الشنقيطي ، منع جواز المجاز ، ص8.
24- الشنقيطي ، منع جواز المجاز ، ص51.
25- للتوسع يراجع الفصل الأخير من كتابه "الإسلام أصالة وممارسة" ترجمة د.خليل أحمد ، وأيضاً مواضع متعددة من "الفكر الإسلامي قراءة علمية" .
26- رضوان السيد ، الإسلام المعاصر ، ص190.
27- رضوان السيد ، الإسلام المعاصر ، ص190.

فن القراءة السريعة

د.مبارك الغربي الشمري
في هذا الزمان الذي يطلق عليه البعض عصر السرعة (صواباً كان أم خطأً) هناك عوامل عدة تتطلب من الفرد المسلم مضاعفة قراءته وعمل خطة تـثـقـيـفـيـة للـرقـي بمستواه، ومن هذه العوامل ما يلي :
* الـصـحوة الإسلامية المباركة في أرجاء العالم الإسلامي والتي رفـعـت الـوعـي الـثـقـافـي والتحصيل العلمي لدى جيل الصحوة.
* الارتفاع المطرد في عدد المطبوعات في العالم العربي في شتى المجالات .
* تـحـسـن المستوى الاقتصادي نـسبـيـاً مع الانخفاض في أسعار الكتب المطبوعة باستخدام التقنية الحديثة التي سهلت للكثير اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات المنزلية.
* مـتـطلـبـات الحـيـاة العصرية أجبرت الكثـير من الناس على الاطلاع على الكتب لمعرفة أسرار هذه الحياة.
وعندما نتحدث عن القراءة يجب أن ندرك أنها متعددة الأنواع وتتمحور حول أربعة فروع رئيسية :
(1) القراءة الثقافية : وتشمل الإلمام بالأولويات مـن أمـور الـديـن والدنـيـا بما فيها الثقافة الشرعية الواجبة على كل مسلم والمعينة له على التزام الطريق الصحيح في هذه الحياة.
(2) القراءة الأكاديمية (الدراسية) : هذه القراءة تستوجب الفهم المتعمق لعدة مواد ليتمكـن المرء من اجتياز اختبار معين أو الحصول على مؤهل دراسي يعينه على الـعـمـل وتحـديـد المهنة. والقراءة الأكاديمية لها عدة خصائص منها الإلمام بكل نواحي المادة المقروءة، وتتميز أيضاً بعدم وجود عامل الاختيار الحر للمادة المقروءة .
(3) القراءة المرجعية : نقوم بهذه القراءة عندما نرغب في البحث عن معلومات معـيـنـة قـد تتطلب الاطلاع على عدة مراجع أو كتب . فعلى سبيل المثال تكون قراءتنا مرجعية عـنـدمـا نبحث عن تفسير آية أو معرفة حكم أو صحة حديث أو عند التحقق من معلومات جغرافية عن بلد معين...
(4) قراءة المتعة : قد تكون هذه أقل القراءات شأناً وتشمل قراءة الصحف والـشـعـر وبـعـض القصص وما شابه ذلك ، وهدفها غالباً يكون الترويح عن النفس و للتسلية .
ولا شك أن الدراية بأصول القراءة السريعة سوف تعود بالفائدة العظمى على الفرد الواعي الطموح الراغب في استغلال وقته على أحسن وجه مهما كان نوع قراءته. فـالـسـؤال الـذي يطرح إذن هو : ما هي القراءة السريعة وما هي مبادئها ؟ .

القراءة السريعة - كما يدل عليها اسمها - هي عبارة عن أسلوب للقراءة تتضاعف به كمية المادة المقروءة في وقت معين مع الاحتفاظ بكامل الاستيعاب . فالفرد الذي يتقن هذه المهـارة بإمكانه في المتوسط اختزال وقت قراءة كتاب معين إلى الربع أو أقل ، وهذا المتوسط يعتـمـد أيضاً على مستوى القارئ وثقافته ومدى إتـقـانه وتدريبه على هذه المهارة ، ولـكـن هـنـاك بعض المبادئ الرئيسية والفرعية التي بإمكان أي فرد أن يطبقها بـنـفـسه ، ويمكن تلخيص بعضها فيما يلي :

أولاً: المبادئ الرئيسية :

أ- مسح المادة المقروءة :

ويـتـلـخـص في الأقيام بعملية مرور سريع للتعرف الشكلي على المادة قبل الشروع الفعلي في قراءتها . فمثلاً عند قراءة كتاب ما يمكن أن تتم عملية المسح بالخطوات التالية :

* الاطلاع على مقدمة الكتاب والتعرف على أهداف المؤلف من كتابة الكتاب .
* الـتـعـرف عـلـى أبـواب أو فـصول الكتاب الرئيسية و عناوينها العريضة وعلاقة بعضها ببعض.
* إلقاء نظرة سريعة على الأشكال التوضيحية المستخدمة في الكتاب وعلى الخاتمة .

وكذلك يقال في المقال ؛ حيث ينبغي التعرف على الموضوع وعلى الأهداف والأسلوب العام للموضوع.

وعملية المسح هذه لها دور كبـيـر فـي الـتـحضير الذهني مما يساعد على سرعة الاستيعاب وبالتالي على سرعة القراءة.

ب - إتقان أسلوب القراءة المطردة :

اعتاد كثير من الناس منذ الصغر على عمـلـيـة التراجع لقراءة الكلمة أو الكلمات مرة ثانية أو عدة مرات وأحياناً السطر بأكمله ، وقد تستمر هذه العادة مع الشخص حتى الكبر مع عدم وجود المبرر لها . فعملية التراجع عند القراءة تؤدي إلى تشتيت الذهن وإعاقة تسلسل الأفكار لإكمال الصورة وترسيخ فكرة المادة المقروءة. ويعتبر التراجع من أكبر عوائق القراءة السريعة.

ومن السهل التخلص من هذه العادة بالإصرار على عدم التراجع أو التوقف ، بل محاولة الاستمرار في القراءة ، وبالطبع في المحــاولات الأولى ستقل درجة استيعاب المادة المقروءة ولكنها بعد التمرس ترتفع ثانية إلى ما كانت عليه سابقاً أو أكثر .

ج - استخدام القراءة العينية المنتظمة:

إن عملية الجهر بالقراءة أو مجرد تحريك الـشـفـاه تستغرق وقتاً أكبر وتتطلب جهداً أكـثر ويعتبر ذلك أيضاً من أكبر معوقات القراءة السريعة ؛ ولذا يجب اجتناب تحريك العيـنـين بدرجة كبيرة بين بداية السطر ونهايته وباعتياد ذلك يتوسع مدى العين وتتمكن من التقاط كلمات السطر في نظرة واحدة وبصورة مـنـتـظـمـة ومتـتـابعة لكل سطر أو لكل مجموعة من الكلمات . ولا يمكن تحقيق هذا إلا بعد التخلص نهائـيـاً من عملية التراجع السابقة الذكر عند القراءة . فتطبيق هذه العملية سيريح الـعـيـن ويـنظم حركتها وسيؤدي في الوقت نفسه إلى مضاعفة سرعة القراءة .

د- التعايش مع المادة المقروءة :

هذا المبدأ مرتبط بسابقه ، ويعني التركيز التام ومحاولة الـتـعـايـش الخـيالي في جو الفكرة وربط أجزائها ببعض للوصول إلى الصورة النهائية لمفهوم الموضوع المقروء . وهذا العنصر له مردود كبير أيضاً في سرعة استيعاب الفكرة وترسيخها في الذهن بالإضافة إلى زيادة سرعة القراءة .

ثانياً : العوامل الفرعية :

هناك أيضاً بعض الصعوبات التي تبدو وكأنها قليلة الأهمية ، ولكن لها دور كبير منها:

أ - الجلسة الصحيحة :

عند القراءة يجب الجلوس جلسة صحيحة ومريحة بدون الاسـتـرخـاء الـتـام ؛ حيـث إن الجلسة الخاطئة تعيق الدورة الدمـويـة التي تـؤدي إلى تـدنـي سـرعـة الاسـتـيـعـاب، أمـا الاسترخاء فيفقد التركيز . ولكن يـمـكـن اسـتـغـلال وقـت الراحة والاسترخاء لقراءة المتعة والتسلية التي لا تتطلب كثيراً من التركيز وليست ذات أهمية كبرى .

ب - اختيار الوقت والمكان المناسب :

يجب اختيار الأوقات التي تناسب نوع القراءة ؛ فالقراءة الثقافـية والأكاديمية تتطلب أن يكون القارئ نشطاً كالصباح الباكر ، وبعيداً عن الضوضاء والمقاطعات ، وفي مكان تتوفر به التهوية والإضاءة المناسبة.

ج - تحديد مدة القراءة :

قبل الشروع بقراءة كتاب معين يجب تحديد طول الوقت المناسب لإكمال قراءة الكتاب ؛ فوجود عامل الضغط له أثر نفسي في رفع مستوى وسرعة القراءة كنتيجة لتحديد الوقت .

وأخيراً - عزيزي القارئ - قد تتساءل عن مدى إمكانية تطبـيـق هذه المبادئ ، ولكن قبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نتذكر بأن النشاط البدني الرياضي يحتاج إلى التدريب والتمرين ؛ لذا فإن فن القراءة السريعة من السهل جداً إتقانه ، ولكن بالتطبيق والتدرج .

ظواهر

أصنام عصرية

محمد بخات الإدريسي

إن هذه الأصنام العصرية - مع الأسف رياضية - بمعنى أنها ظهرت في عالم الرياضة ، وباسمها وفي ميادينها، بحجة الجمال الجسمي، والكمال البدني، واللهو البرىء، والتنافس الشريف، والتباري النظيف للترفيه عن النفس بما هو رياضي ، حتى يعيش الإنسان في حياة رياضية، وبذلك ينمو جسمياً ويزكو عقلياً ، إلا أن الرياضيين انحرفوا ومحبيهم انجرفوا، وقد كان هذا الإفساد الذي طرأ على عالم الرياضة متوقعاً بل كان مقصوداً والبرهان هو التناحر والتقاتل والتنافر والتعارض والضحايا في سبيل الرياضة وبالأخص كرة القدم.

كنت أسائل نفسي قائلاً وباحثاً : ألم ينحرف الناس من عشاق كرة القدم عن أهدافها التي تبدو معروفة ومعقولة ؟ ألم ينشغلوا بها إلى أبعد الحدود؟ ألم يلهوا بها إلى حد المبالغة التي أدت إلى إضاعة حقوق وإزهاق أرواح؟ فأين الروح الرياضية والتغني بها وأين سمو المقاصد منها؟؟

ولم يطل التساؤل ولا البحث، ولم أتهم نفسي بعدم التوفيق في وضع النقط على الحروف، فقد وجدت الجواب المقنع أو بالأحرى الحجة الدالة على وجود الأصنام العصرية بالأشكال الرياضية من بروتوكولات حكماء صهيون : "... إنما توافق الجماهير على التخلي والكف عما تظنه نشاطاً سياسياً إذا أعطيناها ملاهي جديدة أي التجارة التي نحاول، فنجعلها تعتقد أنها أيضا مسألة سياسية. ونحن أنفسنا أغرينا الجماهير بالمشاركة في السياسات ، كي نضمن تأييدها في معركتنا ضد الحكومات الأممية (غير اليهودية) . ولكي نبعدها عن أن تكشف بأنفسها أي خط ممل جديد سنلهيها أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة وهلم جرا. وسرعان ما سنبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات : كالفن والرياضة وما إليهما . هذه المتع الجديدة ستلي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه"(1).

هذه الكلمات من البروتوكولات برهنت بها على وجود الانحرافات المرادة في عالم الرياضة عند المحترفين والهواة على صعيد أي لعبة رياضية ، ففي بداية شهرة الرياضات كان المقصود منها شريفاً وظاهراً للعيان ، ولكن بالتدريج تحققت لليهود الفوائد المرجوة منها كمشروعات من بنات أفكارهم تستهدف القضاء على غير اليهود بالإضعاف والاستعباد بالوسائل

الرياضية، هذا الاستعباد الذي نتج بالتنافس المريب،والإلهاء الدائم، والتحريض اللامشرّف ، والتضييع للأوقات فيما لا يفيد أو ينفع.
وحتى لا يستمر تجسيم عنصر الشر والفساد في شتى الرياضات أصبح من الواجب تعليمها بحذر، ومزاولتها بتوجيه، والإقبال عليها بوعي، وبذلك نفوت على يهود الأغراض التي يريدون منها ، ونخيب رجاء حكماء صهيون فـيـمـا خططـوا له وابـتكروا من وسائل وفنون رياضية تلهي وتضيع بالانشغال بها والانكباب عليها. ولعل الملاحظ الـمـنصـف يؤيدني في وجهة نظري هذه إذا تمعن فيما وضحت واستنتجت خصوصاً إذا مثّـلت له بكـرة الـقـدم ، هذه اللعبة التي ضيعت أوقات الصغار والكبار وألهـتـهـم عـن مـعـالـجة مشاكلهم وتصحيح أوضاعهم وتحسين واقعهم والتخطيط لمستقبلهم بالأفيد الأهم والأصلح الأعم.
ولكن أين نحن مـن هـذه التحسينات الضرورية والتصحيحات الإصلاحية ما دام الناس في غـفـلـتـهـم الـمعهودة، كل تجمعاتهم عن الريـاضة وكل مشاهدتهم لكرة القدم حتى صاروا أساراها ، وكيف لا يكونون ضحاياها وقد سلـبت وقضت على إرادتهم ، وضيعت طاقاتهم بالاهتمام والافتتان بها، يحضرون تجمعاتها، ويقبلون على مبارياتها ، ويفرحون للانتصار ويحزنون للاندحار؟! وقد بلغ بهم الحب الأعمى والتعلق بها إلى حضور حفلاتها والتفرغ لها غاية بعيدة ، أما تجمعات الدين فقد غدت مُهمَلة مهجورة.
و ما الدين ؟ أليس في نظرهم حياة على الهوامش حافلة بالمحظورات ، مانعة للشهوات ، مضيعة للفرص مع الرغبات ، مضيقة على النفوس ، معطلة للطاقات!!
وقد انغمس في الرياضة وغلا في حبها الكبار ، بل سلبت عقول الصغار الذين لا تكاد تجد أحدهم يحادثك عن شيء غير كرة القدم، فهو يهمل ما عداها،ويقبل عليها لعباً ومشاهدة، ويلم بتاريخها ويعرف مشاهير لاعبيها وفرقها المحلية والعالمية ، وان كلمته بالتدريج عن دينه ظهرت سلبيته فيه، وتجلت إيجابيته في غيره، فهو مسوق، وهو مقلد، وهو مسحور بكرة القدم، وهو مقدس لها، وذلك ما استهدفته بروتوكولات صهيون، وهكذا تجد عندهم العلم بأنواع الرياضات وفرقها وأبطالها مع معرفة أسمائها وأسماء أعضائها المشهورين الذين يحفظون أسماءهم عن ظهر قلب .. و لكن لا يحفظون فاتحة الكتاب ولا كلمات التشهد !(2).
إن كرة الـقـدم ومـثـيـلاتـهـا من بنات الرياضة - وبنات النظرة الجاهلية - أصنام عصرية تجسم ضياع الإنسان العصري كما جسمت اللات والعزى ضياع الإنسان العربي فيما مضى في جاهلية ما قبل الإسلام.

الهوامش :

1- عن كتاب "الخطر اليهودى .. بروتوكولات حكماء صهيون" ، ص118 لمحمد خليفة التونسي ، طبعة دار الكتاب العربي ، عام 1951.
2- كنت قد قمت بتجربة في هذا الصدد مع جماعة من الشبان فلم أحظ إلا بواحد يحفظ بتذبذب سورة الفاتحة ! .

شعر

يا حابسَ الفيل

مروان كجك

يا حابسَ الفيلِ احبس مجرماً مردَا على النفاق قد اختار الأذى جُدَدا
في كل بيت له عين ومِقْصَلة هذي تُريعُ وتِلكم تفصِم الكبدا
قد جاءنا ونذيرُ الشر يحمله على الأكف،وصوتُ الحق قد جمدا
فهللت لنداه الضحلِ شرذمة لم تدرِ أن زمان القهر قد وُئِدا
قد غاب عنها مَنِ الآتي وما دمه وصار صوتُ بني الإسلام رجعَ صدى
يا قومُ إن لكم فيمن مضوا عِبَراً ما كان جدُّكُمُ خِبًّا ولا حَرِدا
قد كان واللهِ سيفاً مُصْلتاً عبقاً بكل طيب، على الرحمن معتمدا
إذا تراءى له شر مضى قُدُماً يسابق الريح كي يحظى بما وُعِدا
وإن أتاه بأن القوم قد جمعوا له السرايا وجاؤوا كلُّهم عددا
لم يَنهَهُ عن لقاء القوم ما جمعوا ولا التريُّث، أو قلب له ارتعدا
سيروا على نهجه يا قومُ تنتصروا ويجعلِ اللهُ من أعدائكم بَدَدا
وتنبت الأرض عدلاً والسماء غِنى ويُهْزَمُ الجمع ذو الأعلاج والعمدا
وتسطع الشمس في أنحاكم فرحاً برفعة الحق واستخذاء مَن قعدا
يا حابس الفيل شأن المسلمين غدا سَفِلاً وشأن بني الطغيان قد سَمدا
ونافخ الكير أضحى سيداً عطراً وحامل المسك يا تُعساه قد هُردا
وسارق الكحل من عين مؤرَّقة أضحى أميناً يَطِبُّ الحَسْرَ والرمَدا
وخائن العهد قد أضحى أخا ثقةٍ وصادق الوعد في الخُوَّان قد حُشِدا
كل الموازين يا ربَّاه قد قلقت صارت نتائجها للمسلمين سدى
ضاعت معالمهم فيها وما ظهرت لهم مباهجُ أو نصرٌ لهم عُقِدا
فسدِّدِ الله في الدنيا طرائقهم واجعل مفاوزهم في العالمين هدى
واقصمْ عدوهم يا رب واقضِ لهم بكل خير وكن عوناً ومُلْتَحَدا
واصرف ضراماً تنادى الحاقدون له واكشف بفضلك عن أنحائنا الكمدا
واحبس بقدرتك العصماء ما صنعوا عنا، ودعْهم حيارى يشتهون ردَى
فقد تمادوا وظنوا أننا صُبُرٌ على الأذية، حِملانٌ لهم بُلَدا
سيعلم الجمع منهم مَن نكون غداً إذا انتضينا سيوفاً تنشُدُ القَوَدا
سيعلم الجمع منهم أننا نُجُبٌ في أرضنا الصدقُ والإسلام قد وُلِدا

ذاك الفرات وهذا النيل يرفده نِعْمَ الرفادة والإرواء يا بردى
وماء زمزمَ ما ينفكُّ ذا عبقٍ يروي الجموع إذا ما الماء قد نفِدا
فاحبس بفضلك يا رباه كل فتىً على الخسائس والإرجاف قد مردا

شؤون العالم الإسلامي

لماذا قطعت أمريكا مساعداتها عن باكستان ؟

أحمد موفق زيدان

أعلنت الإدارة الأمريكية في الأول من أكتوبر الماضي قطع مساعداتها العسكرية عن باكستان بذريعة تنامي القدرات النووية الباكستانية ، وامتلاك باكستان القنبلة الذرية التي ستهدد - حسب زعم أمريكا - السلام الدولي في المنطقة ! ، كما تذرعت أمريكا بمسألة الانتخابات الباكستانية التي لابد لها أن تكون بصورة عادلة ونزيهة. وقد تزامن هذا القطع - الذي تصل قيمته سنوياً حوالي 600 مليون دولار - مع الحشود الهندية المتنامية على الحدود الباكستانية، واشتداد الوضع في كشمير المحتلة، وقد عوَّدت أمريكا باكستان على التخلي عنها في الأوقات الحرجة والعصيبة ، مثل قطع مساعداتها عنها في سبتمبر عام 1965 أيام الحرب الهندية الباكستانية ، وفي عام 1971 أيام انفصال بنغلاديش ، بتواطؤ الثلاثي الهندي الروسي الأمريكي ، كما قطعت مساعداتها عام 1978 بعد وصول ضياء الحق للسلطة في يوليو عام 1977 ، وتذرعت آنذاك بأن القانون الأمريكي يمنع دعم أي دولة تطيح بنظام ديمقراطي، وتحل محله نظاماً عسكرياً، ما لم يقُم الأخير بعقد انتخابات شعبية في فترة أقصاها ستة أشهر من وصوله للسلطة.

ولكن البقاء للمصلحة ، فقد تلاشى هذا القانون الأمريكي عندما فرضت المصلحة الأمريكية استئناف دعمها لباكستان بسبب غزو الاتحاد السوفييتي يوم 17 من ديسمبر 1979 لأفغانستان ، واستمر هذا الدعم لباكستان على مضض ، واستفادت باكستان من الظروف الدولية هذه في تطوير منشآتها وقدراتها النووية.

ويأتي قطع الدعم الأمريكي متزامناً مع الوضع الاقتصادي المتردي والمتدهور في البلاد ، خاصة وأن البلاد ستخسر من جراء غزو العراق للكويت ما يقارب بليوني دولار سنوياً ؛ بسبب عودة العمالة الباكستانية من الكويت ، والبالغة 100 ألف عامل . وانتهت بذلك مسألة التحويلات، إضافة للارتفاع الحاد في سعر البترول. وكانت باكستان تعد ثالث أكبر دولة في العالم تتلقى مساعدات أمريكية بعد "إسرائيل" ومصر .

تشجيع يهودي :

لعب وما يزال يلـعـب عـضـو الكونغرس الأمريكي (ستيفن سولارز) - رئيس الهيئة الفرعية لشؤون آسيا والمحيط الـهـادي في الكونغرس الأمريكي - دوراً مـحـورياً في تـشجيع الإدارة الأمريكية على قطع مساعداتها عن باكستان.
وينحدر ستـيفن سولارز من ولاية فـرجـيـنـيـا الأمريكية وهو لا ينسى دور الهنود المـنـتـشـرين في هذه الـولايـة والذين أوصلوه إلى منصب عضو في الكونغرس الأمريكي ، وبهذا لابد مـن قـربـان يقدمه قبل الموعد المقرر للانتخابات الأمريكية القريبة.
قدم ستيفن سولارز - الذي يتمتع بصداقة وطيدة مع بي نظير بوتـو رئيـسـة وزراء باكستان المعزولة منذ أيام دراستها في أمريكا - في 19 من سـبـتـمـبـر المـنـصـرم عـريضة يناشد فيها الرئيس الأمريكي بوش بقطع الدعم عن باكستان بـسـبـب محـاولاتـها المستمرة والدؤوبة في تطوير أسلحتها النووية ! وفي 8 من أكتوبر قدم 52 عضواً من أعضاء الكونغرس الأمريكي ورقة لجورج بوش يحذرون فيها بقطع المعونات كاملة - عسكرية كانت أو غير عسكرية - عن بـاكـسـتـان مـا لم تعقد الانـتـخـابـات بـشـكـل نـزيـه، والآن وبـعـد أن عقدت الانتخابات ماذا سيكون رأي هؤلاء الأعضاء ؟ ، خاصة وبعد أن أثبت تقرير المراقـبـيـن الدولـيـيـن المحايدين والمشرفـيـن على الانتخابات من 45 دولة أن الانتخابات عُقدت بشكل نزيه وعادل ولم تـتـعرض لـلـتـزويـر والتزييف كما ادعت بي نظير بوتو رئيسة الوزراء.
واستهدف قطع الدعم العسكري عن باكستان في هذه الظروف العصـيـبـة إطـلاق يـد جارها العملاق الـمـتـنـامـي الـهـند، وإلا فلماذا يستمر الدعم الأمريكي للهند ولا أحد يسألها عن تفتيش منشآتها النووية؟! كما يتذرع بهذا الرئيس الأمريكي الذي يدّعي أنه لابد أن يثبت سنوياً في شهادته أمام الكونغرس بأن باكستان لا تملك أسلحة نووية ، وهو أمر صعب نفيه الآن كما يقول ! .
ولماذا الكيل بمكيالين أو الوزن بمـيتزانـيـن ؟ فـلـمـاذا لا يتم التفتيش على المنشآت النووية الهندية إن كان القصد حقيقة هو السلام المنشود أم أن الـسلام لا يكون إلا بتسليم الضحية لجزَّارها دون إبداء أية مقاومة أو دفاع عن النفس؟!
وقد أعرب زاهد (سر فراز) وزير الداخلية الباكستاني في الحكومة الانتقالية الفيدرالية عن استعداد بلاده لفتح المنشآت النووية الباكستانية لـلـتـفـتـيـش وتوقـيـع اتفاقـية عدم انتشار الأسلحة النووية إن طُبق ذلك على الهند. وإلا فكيف يمنعوننا من الدفاع عن أنفسنا مقابل قوة كبرى مصغرة وهي الهند وتجاورنا بحدود طويلة ؟! كما قال فراز.
وعندما سئلت مارغريت تاتويلر متحدثة الخارجية الأمريكية عن امتلاك باكستان للقنبلـة النووية أجابت : "ليس لدينا أدلة على أن باكستان تملك

أسلحة نووية" . وجـاء بـعـدهـا مقال "واشنطن بوست" التحريضي الذي ذكرت فيه أن باكستان سعت لـدى دول عـدة مـن أجل شراء مواد تساعدها على تصنيع أسلحة نووية ، ولو عاملنا الأمريـكـان بمـا يقولـونـه فكيف يسمحون لأنفسهم أن يقننوا قانوناً جديداً وهو أن "كل شخص مـتـهـم حتى تـثـبـت براءته" ، أليس هذا يخالف ما اتفق عليه البشر ؟ .
فإن كانت تاتويلر ليس عندها أدلة على امتلاك باكستان للأسلحة النووية فكيـف يـبـررون قطعهم للدعم بهذه الحجج المصطنعة ؟ .

تواطؤ دولي :

وصف سردار عبد القيوم خان رئيس كشمير الحرة ستـيـفـن سولارز - في مقال له مطول في إحدى الصحف الباكستانية - بأنه ليس حريصاً على الديمـقـراطـيـة فـي بـاكسـتان ، وأن إظهار تـأثـر أمـريـكا على الديمقراطية في باكستان هو محض إذعان للإخراج الهندي لهذه التمثيلية.
وقد تزامن قـطـع المسـاعدات الأمريكية عن باكستان مع هجوم شديد من راديو موسكو على التحالف الجمهوري الإسلامي الذي فاز أخيراً بالانتخابات ، وعلى الجيش الباكستاني ؛ لأن الجميع يـدرك قـوة الـجـيش الباكستاني وأنه الوحيد الحريص على مصلحة باكستان العليا وقد تباكى الهنود ونـظـام كابل العميل كثيراً على سقوط بي نظير بوتو عندما أعلنوا أن الديمقراطية في خطر ! .

لماذا وافقوا على بي نظير ؟

المتتبع للإعلام العالمي وأحاديث سـيـاسـيـه مـنـذ مجـيء بـوتو وحتى الآن يلحظ أن توافقاً مشبوهاً قد تم ومازال على رفع شخصية بوتو ، فلماذا كل هذه الدعاية الإعلامية والتباكي عليها مع أنها أعلنت منذ مجيئها للسلطة في أواخر عام 1988 بأن باكستان لا تملك قنبلة ذرية ولا تسعى للحصول عليها كما أبدت في لقاء لها مع مـجـلـة هـنـديـة (إنـديـا تُوداي) استعدادها لفتح أبواب المنشآت النووية الباكستانية من أجل تفتيشها ! .
إن بي نظير شخصية طموحة للسلطة وحسب ، وتريد التمسك بكرسي الزعامة ولا يهـمـها قـوة بـاكسـتان وهيمنـتـهـا، ومستعدة للتضحية حتى ولو على حساب أهم أسرار الدولة في سبـيـل الـبـقـاء فـي الـسـلـطـة، وطالب سردار عبد القيوم خان رئيس كشمير الحرة أخيراً بمحاكمة مسؤولي الاستخبارات العسكرية أيـام بي نظير بوتو والـذيـن كـانـوا مـن حزبها ؛ لأنهم سربوا أسراراً خطيرة - كما وصفها - للمخابرات الـهـندية أثـرت عـلـى مـجـاهـدي كشمير ونشاطاتهم.
ومقابل هذا نشط الجيش الباكستاني في تطوير قـدراته الدفاعـيـة ، حيث تسربت معلومات أخيراً عن قيام الخبراء الباكستانيين بـتـصـنـيـع رؤوس نـوويـة يمـكـن لطائرات ف16 أن تحملها، وقـد صنعت باكستان خلال فترة

قصيرة عدة صواريخ طويلة المدى ودبابة، وقمراً صناعياً ، وهذا لا يروق للأمريكان ولا للهنود حيث إن من أهم معالم السياسة الأمريكية هو الاستئثار بالتصنيع الحربي ، والهيمنة العسكرية ، والتقدم النووي.
وهنا نسجل الـجهد الذي بذله الرئيس الراحل ضياء الحق مع رفاق دربه الذين قُتلوا معه في حادث تحطم طائرته في 18 من أغسطس عام 1988 - بالإضافة لقادة الجيش الحاليين - جهدهم الذي بـذلـوه في هذا الصدد ، وقد وصف وزير المالية الباكستاني الأسبق - أيام ذو الفقار علي بوتو - الـدكـتـور مـبـشر حسن ويعتبر أحد زعماء حزب الشعب مسألة قطع أمريكا لمساعداتها عن باكستان بأنها نعمة ورحمة على الباكستانيين.
فكيف لا تفضل أمريكا بي نظير على غـيـرهـا خـاصـة بعد أن كشفت الصحافة الباكستانية عن الرسالة التي وجهتها لكابريت عضو الكونغرس الأمـريـكـي وزمـيـلـهـا في الدراسة أيام أمريكا والتي تقول فيها : "إنني سأكون ممـتـنـّـة جداً إذا تـم إيـقـاف الـدعـم الـعـسـكـري والاقتصادي لباكستان (كانت الرسالة قبل وقف المساعدات) كما أكون شاكرة إذا تم إيقاف الدعم عن باكستان من البنك الدولي والوكالات الدولـيـة الأخرى، ويـرافـق هـذا تـجـمـيـد الودائع الباكستانية حتى عودة الحالة الطبيعية لباكستان ، وعندما كنت رئيـسـة للـوزراء كان التفتيش مستمراً على المفاعل النووي ولكن لا أعرف خطة الحكومة حالـيـاً !" ، ثـم تخاطبه بقولها :
"عزيزي ، استعمل نفوذك لدى رئيس الوزراء الهـندي سـنـغ مـن أجـل إشـغـال الجـيـش الباكستاني في مناوشات وحرب مع الهند" كما طلـبـت مـنـه في الرسالة أن يستعمل ستيفن سولارز صلاحياته ونفوذه لدى الرئيس بوش للضغط على إسحق خان والجيش الباكستاني.
وعلى الرغم من نفي بي نظير وكابريت للرسالة إلا أن الـظـروف الـبـاكـسـتـانيـة والأمريكية وعلاقات بي نظير مع كابريت أو غيره تُبقي مجالاً للقول بصحتها.

موقف الجيش والحكومة :

عـبـر عـدد مـن قـادة الجـيـش ومـسـؤولي الحـكومة عن امتعاضهم للتصريحات والتصرفات الأمريكية الأخيرة ، وقال الجنرال أسلم بيغ قـائـد الجـيـش الـبـاكـسـتـاني بأنه لا بد من استلهام الدرس الأفغاني في الاعتماد على الذات مهما كانت التكالـيـف باهـظـة ، وأضـاف بيغ يقول:"إن باكستان بالتأكيد قررت اليوم ألا تساوم على المبادئ مهما كانت النتائج".
وصرح سر فراز وزير الداخلية الفيدرالي : "إن باكستان ليست الولاية 52 الأمريكية حتى يتصرف بها بوش كما يشاء ، وإننا لسنا محمية أمريكية ولكننا دولـة مسـتـقلة" ، وأضاف في مكان آخر : "إذا لم تُعِدْ أمريكا استئناف مساعداتها لـبـاكـستان فـسـنـضـطـر إلى إنـهـاء العلاقات التقليدية معها ، وإننا

واثقون بأن باكستان ستقف عـلـى أقدامـها بما يتوفر لدينا من مصادر وإمكانيات ولا نستطيع العيش تحت رحمة القوى الكبرى" .
وكان على باكستان أن تدرس بعناية مسألة الانفراج الدولي أو ما يسمى بالتوافق الدولي على مصالح المسلمين ، وانعكاسات البيروسترويكا التي بدأت تظهر بوضوح أنـهـا ضـد المـسلمين فقط . وهل ستعتمد باكستان على نفسها فعلاً أم أن التصريحات للاستهلاك أو لفترة معينة ثم تعيد أمريكا ضخ مساعداتها ونعيد علاقاتنا معهم من جديد ؟ ، فهل عـداوتـنـا مـعـهـم مرتبطة بمصلحة آنية من دعم عسكري أو اقتصادي أم أن الأمر أبعد من هذا ؟!
ولو تبرع كل باكستاني بروبية واحدة يومياً ولمدة ستة أيام لجمعت باكستان أكثر من المبلـغ الذي تدعمها به أمريكا وهو 600 مليون دولار ولانتهت بذلك الهيمنة الأمـريـكـيـة علـيـنا نحن المسلمين ؛ فمتى سندرك ذلك ؟!

دروس من انتخابات الجزائر

عبد المنعم جمال الدين

تعددت ردود الفعل تـجـاه نتائج الانتخابات البلدية التي أُجريت في الجزائر والتي فازت فيها الجبهة الإسلامـيـة للإنـقاذ بأكثر من 55 % من الأصوات بينما لم يحز حزب "جبهة التحرير" الحاكم منذ ثمانية وعـشـريـن عـامـاً - إلا على 22% تقريباً من الأصوات. ويمكن تلخـيـص ردود الأفـعـال هـذه في كلمـتـيـن : قلق وفرح، قلق من أعداء الإسلام، وفـرح مـن المسلمين.
وقد أرجع القلقون شـعـورهـم إزاء فوز الإسلاميين لأسباب تعددت بتعدد مصادرها ، فعامة الغرب يخشون من تهديد الإسـلامـيـيـن لـمـصـالـحـهم في الجزائر كما يخشون من علو المد \الإسلامي - تأثراً بالجزائر - في سائر المنطقة العربـية مما يهدد مصالحهم - حسب ظنهم - فيها . (1)
أما رجال الأعمال الغربيون فقد عبروا عن قلقهم لما يـعـنـيـه هـذا الـفـوز مـن مخـاطر - لم يحددوها - على استثماراتهم التي كانوا يزمعون توجيهها إلى الجزائر ، فضلاً عـن قـلقهم على القروض المستحقة على الجزائر.(2)
وبعد ذلك تأتي المخاوف الداخلية والتي تعد امـتـداداً للـتـفـكـيـر الغربي حيث عبر عنها محليون - التابعون للغرب فكرياً - نيابة عنه ، ويمكن تلخيص هذه النوعية من المخاوف في ثلاث نقاط هي :
1- أن الإسلاميين يمثلون العصور الوسطى المتخلفة بظلام جهالتها . (3)
2- أن الإسلاميين سيهددون الحريات وحقوق الإنسان. (4)
3- أن الإسلاميين سيهددون حقوق المرأة. (5)

وهذه المخاوف المتعددة لا تمثل نشازاً في موقف الغرب - وأتباعه المحليـين - من الحركة الإسلامـيـة فـهـي مـتـسـقـة تماماً مع مواقفهم عبر تاريخنا الحديث والمعاصر ، كما أن رد الإسلاميين على هذه المخاوف لم يشذ هذه المرة ، بل ظل متناغماً مع مواقفه السابقة ، إذ ظل الإسلاميون - طوال تاريخهم الحديث والمعاصر - فريقين إزاء هذه الاتهامات :

الفريق الأول : لا يبالي ولا يرد، وأكثرهم من الملتزمين بأصول أهل السنة والجماعة اعتقاداً واستدلالاً .

الفريق الثاني : يحاول أن يرد، فيتخبط في رده، فتارة يأتي خطابه مبهماً لا يفي بالغرض ولا يكفي إلا لـتـثـقـيـف الأتـبـاع، وتـارة أخرى يأتي منحلاً من الالتزام بالمنهج الإسلامي الصحيح حسب أصول أهل السنة والجماعة.

ولتتطور الحركة الإسلامية نحو الأفضل لابد من تطوير موقف فريقي الحركة الإسلامية. فـيـتـعـين عـلـى الـفــريـق الأول أن يعي طبيعة العصر ومطالبه وتحدياته فيعي الواقع بكل جزئياته جيداً ، وبـتـمـــثل الشرع الحنيف بأفق متسع فيُنزِل أحكامه الحكيمة وتشريعاته الرحيمة على الأحداث المتجددة دون تشدد غالٍ ، أو ترخص جافٍ .

ويتحتم على الفريق الـثـانـي أن يزيد من وعيه بالواقع ومتطلباته مع التركيز الخاص عـلى دراسة أصول أهل السنة والـجـمـاعـة دراسـة عـمـيـقـة في مـجال الاعتقاد وأصول وقـواعد الاستدلال والاستنباط ، وذلك حتى يتسنى لهم الانـضـبـاط بـالـشـرع أثـنـاء اسـتجـاباتهم لتحديات العصر .

ثم يجب على الفريقين - حينئذ - أن يترفعا عن أن تكون حركاتهم مجرد ردود أفعـال ، حيث الفعل من نصيب أعدائهم ورد الفعل من نصيبهم ، وذلك الـتـرفـع لا يـعـنـي عـدم التجاوب مع الأحداث بل يعني صنع هذه الأحداث والتحكم فيها ، ولن يتم ذلك إلا إذا أخذوا بزمام المبادرة بأن يضعوا تصوراً متكاملاً لأهدافهم النهائية والمرحلية، ويحددوا لكل منهما وسائل عبر خطط مفصلة ذات برامج زمنية قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى .

حينئذ تكون الأفعال المختلفة بناءً على دراسات شرعية وواقعية ، بحيث تدفع أعداءها إلى ردود الأفعال النافعة لأهداف الحركة الإسلامية.

ويدخل في نطـاق هذه الدراسات الإسلامية حول مجالات الحياة الدنيوية النظرية من مثل ضوابط المعرفة، وحدود العقل ومجالاته ، وعلاقة الإنسان بعالم الأسباب، والعلل الكونية ومعلولاتها، ثم تنتقل هذه الدراسات إلى مجالات يبتعد أثرها قليلاً عن المجال النظري من مثل حـقـوق الإنـسـان وواجـبـاتـه، ويدخل في هذا الموضوع موضوع حقوق المرأة وواجباتها باعتبارها إنساناً، ويدخل في هذا المجال - المجال الأقرب للواقع العملي - دراسة الواقع الدولي وكـيـفـيـة الـتـعـامـل مـعـه، والـنـظـم السـياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الإسلامية.

إن إتمام دراسة هذه المسائل وأمثالها دراسة شرعـيـة وواقـعية من المنظور المذكور آنفاً يؤدي إلى منافع جليلة جداً نلخص أهمها فيما يأتي :
1- تنظيم عقلية المسلمين عامة والدعاة منهم خـاصـة بـأسـلـوب علمي إسلامي يمكِّنهم من القيام بأدوارهم على أكمل وجه ديناً ودنيا، مما يعود بالنفع على قضية الإسلام في المجال التطبيقي العملي عندما تسنح الفرص لذلك.
2- هذه الدراسات سـتـمـثـل الـزاد الرئيـسي - إن لم يكن الوحيد - لإتمام وعي المسلمين عامة والدعاة خاصة بحقيقة الإسلام المراد تطبيقه مما يحُول دون الالتفاف حول إرادتهم واستغلال آمالهم من قِبَل بعض دجاجلة السياسة ومغامريها لتحقيق شهواتهم السلطوية.
3- هذه الدراسات ستلعب دوراً رئيسياً وفعالاً في تربية الجيل المسلم الجديد بتأييد الله - عز وجل - لأن التصورات الإسلامية في مجـال الـمـعـامـلات تعتمد على أحداث الواقع ، وتتجدد الاستنباطات المتعلقة بها بتجدد جوانبها الواقـعـيـة، مـمـا يـعـنـي أن جـمـودنـا واعتمادنا على ما كُتب في عصور سالفة في بعض مسائل هذا المجال - هو من قبيل الخطأ العلمي (8) ، كما أن بعض المسائل المتعلقة بالواقع - واقع الإنسان أو واقع الأشياء - فـي العبادات لا سيما القلبية منها تحتاج إلى تجديد فهمنا لها عبر النصوص الشرعية الملـزمـة مباشرة من منظور واقعنا الذي نعيشه يومياً لإحداث التكييف الشرعي اللازم في حـيـاتـنـا حتى يمكننا الاستفادة منها إلى أقصى حد لتحقيق هدفها وهو تزكية النفـس ، ثـم بـرضـاء الله (عز وجل) .
4- ستؤدي هذه الدراسات إلى زيادة إيمان عامة المسلمين لـتـقـديمـهـا للـنموذج المرجو من الحياة الإسلامية المعاصرة ، مما يدفعهم لمعرفة حقيقة الإسلام وحقيقة الجاهلية المعاصرة ؛ فيتميز الحق عن الباطل ، ويزيد إيمانهم بالحق وهجرهم للباطل.
5- سيؤدي عرض هذه الدراسات لتصورات الإسلام للحياة الدنيا إلى دفع المنصفين من غير المسلمين إلى البحث في الإسلام والتعرف عليه ، ثم الإيمان به ، كما سـيـدفع بعض أعضاء معسكرات المحاربة إلى معسكرات الـحـيـاد على الأقـل، وسيخـفـف من حدة عداوة بعض الأعداء ، وكل مكسب من هذه المكاسب لا يستهان به.
6- إن هذه التصورات هي حجر الزاوية ، بل هي الأساس الـذي ينبغي أن يقـوم عليه أي بناء إسلامي مجتمعي وسياسي قادم ؛ لأن مشكلة الأمة الإسلامـية لا تـكـمـن فـي غـيـاب السيطرة السياسية للمسلمين بقدر ما هي أزمة التزام بالشرع ثم أزمـة حـضـارية ، فلابد من إصلاح كلا الجانبين بقدر غير يسير قبل قيام صرح المجتمع والدولة الإسلاميين.
وأخيراً ... فإن كل نقطة من هذه النقاط جديرة بأن تفرد بالدراسـة، فـلـعـل الله يوفقـنا إلى ذلك في مناسبة أخرى ونكتفي هنا بالإجمال خشية الإطالة

ولكننا نختم مقالنا هذا بالتأكيد على الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة كعقيدة وأصول استنباط واستـدلال وبـحـث مـع إدراك حقيقة الواقع وتحدياته حتى نتجنب المزالق الحالية الـتـي هـي مظـنة الوقوع فيها من قبل الكثيرين.

الهوامش :

(1) ، (2) تقرير لرويتر عن انتخابات الجزائر يوم 12/6/1990 ، 17/6/90.
(3) حديث لأحدهم طيَّرته رويتر يوم 12/6/1990 ، وبيان جبهة التحرير الوطني أذاعته إذاعة لندن العربية يوم 18/6/1990.
(4) من "رويتر" تقرير يوم 12/6.
(5) نفس المصدر السابق وتصريح لمسؤولة جزائرية نشر أو أذيع وقتها.
(6) ورد ذلك في حديث مع رويتر طيرته يوم 12/6/1990.
(7) رويتر 14/6/1990.
(8) يلاحظ مثلاً في بعض المسائل السياسية ، من مثل حقوق الحاكم ، وواجباته ، وكيفية تنصيبه ، والضوابط والكوابح التي ينبغي أن تمارَس عليه من قبل رعاياه . فما زال كُـتـاب الحركة الإسلامية ينقلون فتاوى علماء السلف المتعلقة بواقع مختلف - والفـتتوى تـتـغـيـر بتغير الواقع - ولا نجد محاولة إيجابية جيدة لاستنباط الأشكال الملائمـة لـواقـعـنـا وفـقـاً لأصول أهل السنة والجماعة ، ولا يفوتنا أن نلفت النظر إلى أن العدد الأكبر من الفتاوى في المسائل المذكورة آنفاً كان من قبيل التقنين الشرعي وأحياناً التبرير للـواقـع الـمفروض قسراً ترجيحاً لمصالح ودرءاً لمفاسد رآها علماء ذلك العصر .

ماذا بعد كل موقعة الخليج ؟!

محمد محمد بدري

" تـعـودنـا مـن أعـدائنا تواضعاً لا حاجة لنا إلى شرح دوافعه الخبيثة ، فنراهم لا يضعون تـوقـيـعـهم على ما يصـنـعـون، فهم يهيئون كل ما يقلب الوضع رأساً على عقب، يضعـون القـنـبـلة ثم ينسحبون بكل تواضع ، تاركين لسواهم مهمة تفجيرها أمام العدسات الكبيرة وأجهزة الإعلام والإذاعة !! فأعداؤنا يوظفون دائماً مَن يضع توقيعه على أعمالهم". (1)

أولاً : حتى لا نُخدَع :

لابد أن نفكر في "الغد" بنفس الدرجة التي نفكر بها في "اليوم" هذه حقيقة. لـكـنـا لابـد أن نعلم أن هذا وذاك من كلا التفكيرين - لن يكون مؤدياً إلى الوعي الإسلامي الذي لا يُخدع إلا إذا كانت معطيات "الأمس" كلها أمام أنظارنا .. فمعطيات "الأمس" هي المقدمات لحقائق اليوم، وهذه الحقائق هي جذور المستقبل، ومن معطيات الأمس:

دور النخبة العسكرية :

كان من ثمرة اليأس من هذا الدين أن عدل اليهود أعداء الإسلام - عن مواجهته جهرة إلى طرائق أخبث، وإلى حبائل أمكر .. لجأوا إلى إقامة أنظمة وأوضاع في المنطقة كلها تتزيَّا بزي الإسلام، وتتمسح في العقيدة، ولا تنكر الدين جملة، ثم هي تحت هذا الستار الخادع - تنفذ جميع المشروعات التي أشارت بها مؤتمرات التبشير وبروتوكولات صهيون، ثم عجزت عن تنفيذها كلها في المدى الطويل (2) .

وهكذا ظهر في "اللعبة السياسية" عنصر جديد في حرب الإسلام هو "الانقلابات العسكرية" عن طريق شرذمة من العسكريين الذين أُشربوا في قلوبهم ثقافة الغرب وتربوا على يديه ونشأوا في كنفه ورعايته!!

يقوم هؤلاء "بثورة" لتخليص شعوبهم من الظلم إلى العدل ومن الاحتلال إلى الاستقلال - بزعمهم - فتتحقق معادلة الأعداء الشيطانية باستقلال سياسي شكلي وتغييرات اجتماعية محدودة مع تركيز السلطة في يد فرد مستبد لتكون النتيجة حكماً عسكرياً يقوم بتصفية الحركة الإسلامية .

وقد قام الأعداء بصنع الكثيرين من زعماء النخبة ، وكلما نفق منهم فرد دفعوا بالآخر إلى مسرح الأحداث.

وقام أفراد "النخبة العسكرية" يثيرون في شعوبهم النعرة القومية، ويتحدون الغرب في الظاهر !! ثم هم تحت هذا الستار الخداع ينفذون لأعداء الإسلام كل مخططاتهم . وفي الجانب الآخر قام هؤلاء "العملاء" بتخريب اقتصاديات بلادهم وأبقوا عليها في حالة فقر وتخلف وبالتالي تبعية للذين كانوا يستعمرونها !. ثم خرج زعماء النخبة العسكرية على شعوبهم بمقولات مفادها "الرضا بالأمر الواقع" و"التعايش مع الغرب"!! ويا لها من خدعة خبيثة مجملها "إثارة النعرات القومية وتخريب الاقتصاد ثم الوصول إلى الأمر الواقع ثم طلب التعايش مع الذين رفضتهم الشعوب وطلبت الاستقلال عنهم في فترة من الفترات" .

وهكذا يعيد زعماء "النخبة العسكرية" البلاد الإسلامية هدية متواضعة لأسيادهم في الغرب ، أولئك الأسياد الذين يَدين الانقلابيون - زعماء النخبة العسكرية - بالعبودية لهم . (3)

الحروب المصطنعة :

"إمعاناً في الخداع والتضليل، وإمعاناً من الصهيونية العالمية والصليبية العالمية في التخفي، فإنها تثير حروباً مصطنعة باردة أو ساخنة، وعداوات مصطنعة في شتى الصور، بينها وبين هذه الأنظمة والأوضاع التي أقامتها والتي تكفلها بالمساعدات المادية والأدبية، وتحرسها بالقوى الظاهرة والخفية، وتجعل أقلام مخابراتها في خدمتها وحراستها المباشرة ! تثير هذه الحروب المصطنعة والعداوات المصطنعة، لتزيد من عمق الخدعة، ولتبعد

الشبهة عن العملاء ، الذين يقومون لها بما عجزت هي عن إتمامه في خلال ثلاثة قرون أو تزيد". (4)
وقائع ودروس وعبر الماضي تكشف لنا وجه الحقيقة وتعطينا "المناعة السياسية إذا صح التعبير ضد الخداع والتضليل .
"ففي عام 1956 م قام وزير الخارجية الأمريكي دالاس بسحب عرض بناء السد العالي مما دفع النظام الناصري إلى تأميم القناة ، وعلى أثرها قام الاستعمار الإنجليزي والفرنسي واليهودي بالاعتداء على مصر" .
ثم ماذا ؟ ثم تضغط أمريكا على إنجلترا وفرنسا و"إسرائيل" وتطالبهم بالانسحاب على هيئة قرار من الأمم المتحدة (متى كانت قرارات الأمم المتحدة تُحترَم؟!) .. وتنسحب تلك الدول مع ضجة إعلامية ضخمة تعزو الانتصار إلى ذكاء القيادة السياسية ، وتجمّل وجه أمريكا التي تعمل لصالح الأمم والشعوب الصغيرة!! ثم ماذا؟ ثم بما أن النظام الناصري قد انتصر فإنه يمكنه ممارسة القمع بلا حدود.. فيضرب أساس الفكر الإسلامي ، ويحاول استئصال كل أثر للإسلام في حياة الناس ، ومطاردة كل مسلم حتى كان الناس يخافون أن يذهبوا إلى الصلاة.
ومن بعد عبد الناصر جاء السادات وكانت حرب 1973م وما إن بدأت الحرب حتى بدأت القيادة السياسية في تكبيل رجال القوات المسلحة ، ثم تم اختراق تلك القوات من قبل العدو والدخول للضفة الغربية للقناة ، وكان مما يدعو إلى العجب وقتها عدم ضرب ما يسمى "بالثغرة" !! .. ولكن وسط الضجة الإعلامية المضللة ظهر السادات في صورة "البطل" الذي هزم "إسرائيل" ولكنه لم يستطع هزيمة أمريكا!! وأنه في سبيل إنقاذ الجيش الثالث سيقبل التسوية مما يعني الاعتراف بإسرائيل وتطبيع العلاقات معها!! وكان هذا هو بداية "تحريك القضية" و"تمرير" التسوية والذي استهدفته الإدارة الأمريكية من هذا النصر التكتيكي.(5)
فكان توقيع اتفاق كامب ديفيد وكان من الطبيعي جداً أن تضرب الحركة الإسلامية بلا هوادة لأنها هي المعوق الرئيسي أمام الاتفاقية والتطبيع ، فكان ما كان من أحداث دامية واعتقالات واسعة للمسلمين !
وهكذا "فعبور القناة مثَّل بالنسبة للسادات ما مثَّله التأميم بالنسبة لعبد الناصر : إنجاز ذو أهمية قصوى ، يمنح النظام الشرعية المطلقة. وفي كلتا الحالتين فإن هذه الشرعية كانت تستخدم بالتالي لإخماد صوت المسلمين أو محاولة إخماده" (6) وتتوالى الحرب المصطنعة من أعداء الإسلام لحلفائهم الذين يؤدون أدوارهم من داخل الحدود ويسحقون لهم الحق وأهله.

حقيقة المعركة :

من يدقق الطرف ويجيل النظر في تاريخ الاستعمار الحديث لبلادنا يعلم أن هدف المستعمرين محاربة الإسلام وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية .

ويسرف في الخطأ من يعتقد أن عداوة اليهود وسائر أعداء الإسلام لنا ، وحروبهم ضدنا ستتوقف إذا وجدت الأمم المتحدة حلاً لقضية فلسطين أو لبنان أو أريتريا أو غيرها.
يسرف في الخطأ من يعتقد ذلك ؛ لأنه يكون قد جهل أو تجاهل حقيقة أزلية أخبرنا بها رب العزة في محكم كتابه الكريم ؛ حيث يقول - عز وجل - : ((ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إنِ اسْتَطَاعُوا))[البقرة:217] ؛ فسيقاتلنا اليهود والنصارى والشيوعيون والمجوس وكل ملل الكفر ، سيقاتلنا هؤلاء جميعاً مادمنا مسلمين. (7)
وليعد مَن شاء إلى قول سعد جمعة - في كتابه "أبناء الأفاعي" - أنه سمع بأذنيه تسجيلاً حياً لهُتاف الجماهير اليهودية حينما وصلت إلى "حائط المبكى" بعد احتلال القدس عام 1967 وهي تصيح بهوس وجنون : "محمد مات وخلّف البنات - اليوم انتهى محمد ، اليوم قُضي على الإسلام !" (8) ، فحقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة هي معركة العقيدة ، ولكن معسكر الكفر يلونها بألوان شتى ، ويرفع عليها أعلاماً شتى ، في خبث ومكر وتورية . فهذا علم الاقتصاد ، وذاك علم السياسة ، والمراكز العسكرية ، وغيرها .
بينما معركة الأعداء معنا هي أولاً - وقبل كل شيء - لتحطيم تلك الصخرة العاتية التي نطحوها فأدمتهم جميعاً .. صخرة العقيدة . (9)
"والعالم الحر - المزعوم - هو الصليبية في حقيقة الأمر ، وزعامة الصليبية تقع دائماً في يد الدولة الأقوى في العالم الصليبي ، فحين كانت هي بريطانيا كانت زعامة الصليبية في يدها ، ولما صارت هي أمريكا انتقلت الزعامة إليها بحكم الأمر الواقع" . (10)
ولكن حقيقة المعركة هي معركة العقيدة ، وحقيقة المؤامرة هي مؤامرة على العقيدة ، وهي تتم يوماً بعد يوم ؛ فعلينا أن لا نلبَس ثوب الغفلة تجاه هذه المعركة وتلك المؤامرة ، حتى لا نُقاد كما تُقاد الأنعام.

ثانياً : نظرة إلى الواقع :

إن أوربا وأمريكا - أو بمعنى أدق "الغرب الصليبي" - لا يزال على صليبيته.. بل لقد ازدادت حدة هذه الصليبية في السنوات الأخيرة مع ظهور الصحوة الإسلامية التي يعتبرها الغرب الخطر المستقبلي عليه ، ويدل على ذلك حرص الغرب على التواجد في المنطقة ؛ يرصد تلك الصحوة عن كثب ويحاصرها.. بل ويتعاون مع الشرق في ذلك فتكون الصحوة الإسلامية هي إحدى قضايا قمة هلسنكي !!
ويدل على صليبية الغرب أيضاً ما يثار هذه الأيام في الإعلام الغربي حول أحداث الخليج واعتبارها "موقعة" مع الإسلام ، وحديثهم عنها ليس فقط "كهدف" من أهدافهم بل "الهدف" .. و"نقطة الهدف" مع المسلمين. ونراهم

يتحدثون من الآن عما يكون بعد "موقعة الخليج" من تركيب جديد لمنطقة يسمح لأمريكا أن تقوم بدور أكبر من الماضي كما صرح "بيكر" وزير الخارجية الأمريكي .
وما هو أصرح من ذلك ما قاله "تشيني" وزير الدفاع : "إنني أعتقد أننا نكتب فصلاً جديداً في تاريخ القرن العشرين واستراتيجية جديدة وعلامات جديدة نتيجة ما يستهدف العالم من تطورات وعدم استقرار" !!
كل ذلك وغيره كثير يؤكد من جديد أن الوفاق بين الشرق والغرب إنما هو "الوفاق ضد الإسلام" وأن معركتهم ضد الإسلام هي "حقيقة المعركة" .
إن تدمير قوة "الأمة" وارجاعها إلى الوراء ولتنتهي حيث بدأت هو هدف من أهداف أعداء الإسلام ، وقوة العراق كشعب مسلم أمر يخشاه هؤلاء الأعداء ؛ ليس لأن صدام لا يسير في ركابهم - فهذا أمر لا شك فيه - ولكن لأن هذه القوة قد تصير يوماً لمن لا يسير في ركابهم !!
ولذلك فهم حريصون على تدميرها ويخططون لذلك من وقت بعيد فقد جاء في مقال نشر في صحيفة "كيفونيم" اليهودية - بتاريخ 14 من فبراير عام 1982م : "وأما العراق فهو غني بالبترول ، وفريسة لصراعات داخلية ، وسيكون تفككه أهم بالنسبة لنا من تحلل سورية؛ لأن العراق يمثل على الأجل القصير أخطر تهديد لإسرائيل.
وقيام حرب سورية عراقية سيساعد على تحطيم العراق داخلياً قبل أن يصبح قادراً على الانطلاق في نزاع كبير ضدنا" !! (11)
وهذا يجعلنا نتساءل هل يكون غزو الكويت هو تنفيذاً جزئياً لمخطط خارجي وهل تمتد الـمـؤامـرة إلـى تقـسـيـم وتمـزيق الـعـراق جـغـرافـيـاً ؟!؛ لـتـدخـل الـمـنـطـقـة مرحلة الدويلات الصغيرة ؟!!
وفي ظل هذا الفهم .. هل يمكن اعتبار التصريحات القوية هي لون من ألوان "الحروب المصطنعة" التي تبعد الشبهة عن العملاء ؟!
وأخيراً .. فإن القوات الأمريكية التي جاءت باسم الحفاظ على الشرعية الدولية والقانون الدولي.. كان تدخلها سريعاً بل فائق السرعة وشديد الكثافة والتطور والقوة التدميرية وهو أمر قد يراد منه بث الرعب في نفوس المسلمين وإشعارهم "بالهزيمة الداخلية" والضعف عن مواجهة الغرب ومدافعته ، وهو هدف بحد ذاته لأنه من يهزمه عدوه من داخله فإنه لا يبقى أمامه إلا أن يصفي الساحة من فلول عاجزة دون جهد أو تعب..

أمتنا اليوم :

من الواجب على المسلم أن يرى الحياة من خلال واقعه وليس من خلال أمانيه ، ولذلك فإنه من العبث أن نستغرق الوقت ونبذل الجهد في محاولة تجميل وتزيين لصورة واقعنا الذي نعيشه ..

فواقع أمتنا اليوم لم يحدث من قبل ، "لقد أحاط بنا عدونا وأرهقنا وأوصلنا إلى مرحلة الشتات والفرقة والهزيمة النفسية والاحباط .. بل والوهن والاستكانة وفقدان الانتماء للأمة وانعزال كل فرد في داخل نفسه وفي همه الفردي" ، ودخلت الأمة مرحلة "القصعة" وتداعت عليها الأمم ، وأصابها النذير الذي حذرها منه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .
ولسنا نريد أن نساهم في صور اليأس والإحباط التي بلغت مداها في أمتنا اليوم ، ولكنا نريد أن نؤكد أن واقعنا اليوم لا يخرج في حقيقته عن أن يكون نتيجة طبيعية للمقدمات التي صغناها بأيدينا ، فنعرف حقيقة التحدي الذي يواجهنا ونجمع طاقاتنا النفسية والمادية لتبدأ عملية الإقلاع من جديد.

ثالثاً : ماذا بعد موقعة الخليج ؟!

بعد ما ذكرناه من حقائق ، وما كشفناه من مؤامرات ، يواجهنا التساؤل الذي لا مفر منه والذي نعتقد أنه قفز ولا شك إلى ذهن القارئ ، ما الذي يجب أن نفعله ؟! كيف نواجه المؤامرة والمتآمرين ، ونقطع دابر الغزاة المفسدين ؟! كيف ننتقل بأمتنا من التبعية إلى الريادة ؟
ومن الاستضعاف إلى التمكين ؟ ومن الفرقة والضعف إلى الائتلاف والقوة ؟!
"أظـلـمـكـم وأظـلـم نفسي إذا زعمت أنني وحدي قادر على تحديد الجواب الكافي وتعيين الحل الشافي. أظلمكم وأظلم نفسي لأن القضية ليست قضيتي وحدي ، وإنما هي قضية كل كاتب ومفكر وداعية ينتمي لأهل السنة والجماعة". بل هي قضية كل مسلم من هذه الأمة، فالمسئولية عن الإسلام والمسلمين هي مسئولية كل من شهد أن لا إلــه إلا الله وأن محـمــداً رســـول الله عـلـى تـفـاوت في الـدرجـات بـتـفـاوت الاسـتـعدادات، والقدرات، والمواقع، والظروف" . "فليشارك هؤلاء جميعاً في وضع الحلول الناجعة لأخطر مشكلة من مشكلات المسلمين في هذا العصر" . (12)
وإذا كـنـت عـاجـزاً عن وضـع الـحلول لهذه المشكلة فلا أقل من توجيه نصيحة لإخواني المسلمين ، لعلها تكون جزءاً من إطار هذا الحل.

إحياء الأمة :

لابد من الطريق الطويل الشاق البطيء الثمرة "لإحياء الأمة" التي تسند حكم الإسلام حين تقوم وتظل تسنده لكي يستمر في الوجود بعد أن تقوم . ويتم إحياء الأمة بدعوة التوحيد الواضحة على ما كان عليه القرون الثلاثة الأولى قبل تشعب الأهواء واختلاط العقائد .

وذلك عبر مراحل :

- (الانتصار للتوحيد) بتصحيح مفهوم العقيدة ، وتخليصها مما شابها.
- (ملء الفراغ الديني) بدعوة الناس إلى أن يقيموا حياتهم على قاعدة الإسلام.

- (إحياء التوجه الإسلامي) بالانطلاق بهذا المفهوم انطلاقاً جاداً يتربى خلاله الأفراد على الأخلاق الإسلامية ، وخط سير الإسلام في التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية ، والعقبات التي كانت في طريقه ولا تزال تتزايد بشدة من معسكرات الأعداء.
فلابد من (صفوة) تحمل الحق .. و"أمة" تحمي هذا الحق . "أمة" قامت على مرتكزات عقائدية ثابتة ؛ فصار لها ولاء ثابت ، وهوية ثابتة ، وشخصية ثابتة ، وتوجه ثابت.
وهذه "الأمة" بتلك المواصفات هي التي تغلق - بعون الله - الطريق على عودة الانقلابيين من زعماء النخبة العسكرية في المستقبل ، وبالتالي تخرج من التبعية للغرب . بل وتقتل طموح الغرب في هزيمة المسلمين.
وهكذا نحن ننطلق من واقع ((ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إنِ اسْتَطَاعُوا)) [البقرة:217]؛ لنصل إلى مستقبل ((اليَوْمَ يَئِسَ الَذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ)) [المائدة:3] وذلك بحول الله وتوفيقه ثم بعملنا على "إحياء الأمة".(13)

الصف المرصوص :

"من أبرز مشكلات العمل الإسلامي تفرق الجماعات العاملة في الساحة الإسلامية وتمزقها، وقيام بعضها بحرب بعض" (14) ، وبينما أمرنا خالقنا أن لا نختلف كما اختلف اليهود والنصارى ؛ فقال - عز وجل - : ((ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ))[آل عمران:105] . بينما أمرنا بذلك يمثل واقعنا اليوم عـجـزنا عـن تحقـيـق وحـدة بين المسلمين كتلك الوحدة أو التعاون الذي حققه اليهود أو النصارى فيما بينهم .. وهذه هي الطامة الكبرى والبلية العظمى ؛ فتعدد الاتجاهات إذا تحولت الى حزبية ، وأهواء شخصية ، ومنافع دنيوية خطر عظيم إذا كان المنتسبون إلى هذه الأحزاب من أهل السنة والجماعة !"
"ولـعـل ما نـعـيشه من محنة تكون فرصة للعاملين في الحقل الإسلامي ليوقفوا التراشق فما بينهم وليعيدوا النظر في مهمتهم، ويدركوا أنهم يحملون أشرف دعوة ويعملون لأنبل غاية، فـيـوطـنـوا أنـفـسـهـم، ويعاهدوا الله أن يكونوا بمستوى إسلامهم وعصرهم فيتخلص العمل للإسلام من التمحور حول النفس والطواف حول الذات" .(15)
ويـدرك الجـمـيـع أنـه لـكي تـظهر "الأمة" لابد من ترك الولاء الحزبي الضيق للجماعات المـتفـرقة، ولـكي تظهر "التضحية" لابد من التخلي عن المكاسب الدنيوية .. فيتكون لدينا صف مرصوص يؤمن أن الأصل في حياة المسلمين هو الإسلام ، وكل حركة من الحركات أو جماعة من الجماعات هي وسيلة لخدمته ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن نضع الوسيلة في مستوى الغاية أو نعطيها مكانها ، ونحلها محلها.

إعداد العدة :

هناك حقيقة أولية لابد أن نتيقَّـنها ونحن نـتـحـرك بالإسلام ، وهي أن ما نسعى إليه من أهداف إنما يتحقق بجهودنا وفي حدود طاقاتنا الواقعية.
فنحن مأمورون أن نتعامل مع سُنة الله الجارية وإن كنا لا نكف عن التطلع إلى رحمة الله في كـل لـحـظـة .. تـلـك السنة التي يقول عنها ربنا - في كتابه العزيز - ((وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ))[الأنفال:60]، وقال جل وعلا : ((هُوَ الَذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وبِالْمُؤْمِنِينَ)) [الأنفال:62] .
وإعداد العدة يشمل جوانب كثيرة، علمية وتربوية واقتصادية، وعسكرية .. وغيرها.
فلابد من إعداد كل فرد في الأمة - إن استطعنا - إعداداً عقائدياً ونفسياً وتربوياً بحيث يراعي هذا الإعداد فرز "أولي الألباب" لميادين القيادة وتوظيف الطاقات تبعاً لقدراتها العقلية واتجاهاتها النفسية واستعداداتها العملية بعيداً عن مؤثرات العلاقات والروابط الشخصية ومقاييس العصبية والإقليمية والطبقية .
وفي إطار عمل عام يركز على العمل الجماعي وروح الفريق بدلاً من المبادرات الفردية، ثم تجسيد هذا العمل الجماعي في صورة مؤسسات متخصصة، فيكون لدينا مجموعتان : مجموعة فكرية ومجموعة تطبيقية .
فأما المجموعة الفكرية فمهمتها ابتكار الاستراتيجيات اللازمة في جميع ميادين العمل وتطوير هذه الاستراتيجيات حسب متطلبات الزمان والمكان .
وأما المجموعة التطبيقية فتكون مهمتها تنفيذ الجزء المتعلق بميدانها من الاستراتيجيات التي أفرزتها المجموعة الفكرية .
ولا نود في هذا المكان الاسترسال في تفاصيل هذا الأمر فله موضعه، ولكنَّا نريد أن نقول إنه مـا لـم يـتـزاوج الإخـلاص مـع الاسـتـراتـيجية الصائبة في تعبية القوى البشرية في الأمة، وإعداد العدة التي أمرنا الله فإن مستقبلنا لن يحمل لنا إلا الكوارث المتلاحقة التي يرتكبها الطغاة الذين لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة.

حذارِ من اليأس :

إلى كـل المسلـمـين الذين تـؤرقـهم حـال الأمـة، وتـقـضّ مـضاجـعـهم، أقـول: إن الطريق إلى الخروج من أزمتنا سهل وميسور حين نقوم بإحياء الأمة وتوحيد الصفوف وإعداد العدة والسير في طريق التغيير.
ومع ما نعيشه من واقع أليم "فنحن على يقين بأن الشدائد والمحن تصنع الرجال ، وتبصر الأمـة بأعـدائـهـا الحـقـيقـيـين، وأن اشـتـداد التحدي يصقل الرجال، ويقيم الحضارات، ويقضي على الخلايا الشائخة الأمة".
"وقد مر على المسلمين في تاريخهم أوضاع لا تقل سوءاً عن أوضاعنا المعاصرة.. وعندما قيض الله لـهـم مـن يقـودهم تحت راية (لا إله إلا الله

محمد رسول الله)، ويقضي على الخونة تحولت هزيمة المسلمين إلى نصر وانحسارهم إلى مد".
"فالأمل في الله أكبر، والثقة في هذا الدين أعمق وهم يمكرون والله خير الماكرين" .

الهوامش :

1- بين الرشاد والتيه ، مالك بن نبي ، 101 .
2- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، 2/1022.
3- راجع كتاب "لعبة الأمم" وكتاب "العالم العربي اليوم" لمايلز كوبلاند ومورو برجر.
4- في ظلال القرآن، سيد قطب 2/1022.
5- انظر مذكرات كيسنجر (بتصرف).
6- النبي والفرعون، جيلز كيبل، 1297.
7- رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عبد الغني النواوي، 505.
8- المصدر السابق، 504.
9- في ظلال القرآن، سيد قطب ، 1/108.
10- واقعنا المعاصر، محمد قطب ، 292.
11- ملف إسرائيل - روجيه غارودي ، 164.
12- الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عبد الغني النواوي .
13- حد الإسلام وحقيقة الإيمان، عبد المجيد الشاذلي .
14- واقعنا المعاصر، محمد قطب ، 525.
15- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر عبيد حسنة ، 171.

القوى العظمى تعد لحرب في الشرق الأوسط كحل للمسألة العربية

بقلم : (Josef Brewda)
مجلة (Eir Feature)
بتاريخ 20 من يوليو عام 1990م

"هذا المقال الذي ننشر ترجمة لبعض فقراته كُتب في مجلة أمريكية قبل أحداث الخليج ، وفيه إشارات مهمة لبعض الأحداث التي يتوقعها الكاتب ، وقد لا نوافقه في بعض توقعاته وبعض تحليلاته ، ولكننا ننشر المقال لما فيه من الـنـذر بالأخطار التي تهدد الأمة وخاصة من دولة يهود . وبعض نذرها قد هُيئت وندعو الله أن لا يتم ذلك، بل نقول : إن شاء الله لن يتم ذلك؛ لأن مقادير

الأمم والدول ليست بيد هؤلاء كيف يشاؤون، فقد يخططون لشيء ولكن الرياح تجري بما لا يشتهونه" . (التحرير)
تخطط الحكومات البريطانـيـة والأمريكية والسوفـيـاتـيـة لقـيـام حرب عربية - إسرائيلية جديدة في الشرق الأوسط ، وذلك بهدف فرض ورعاية قيام تحالف عسكري سياسـي بـيـن "إسرائيل" وسورية حتى يصبح أمراً واقعاً وقوة لا تُبارَى في المنطقة ، ولعل القناعة السائدة التي تدور في أذهان الساسة الأنجلو أمريكيين والسوفيات أن الحرب هي أفضل السبل لبناء مثل ذلك التحالف وتأسيسه كقوة إقليمية تهيمن على المنـطـقـة ، وبـالـرغـم مـن الإشارات والدلالات المغايرة فإن السياسات الأنجلو أمريكية والسوفـيـاتـيـة ظـلـت تستهدف - ولفترة طويلة - قيام دولتي "إسرائيل" الكبرى وسورية الكبرى وتهيئتهما لـتـصـيـرا قـوة إقـلـيـمية كبرى في منطقة الشرق الأوسط.
إن قيام حرب شرق أوسطية على طاولة الأحداث لأمر يشير إليه تكـويـن مـجـلـس الـوزراء الإسرائيلي الأخير الذي ألفه رئيس الوزراء الإسرائيلي وزعيم الليـكـود إسـحـق شـامير في الحادي عشر من يونيو الماضي ، وما الحكومة الائتلافية الجديدة إلا حكومة حرب يسيطر عليها الجنرال أريئيل شارون وزير الإسكان ، ورفاقه ديفيد ليفي وزير الخارجية، وإسحق موداعي وزير المالية، وموشي أرينز وزير الدفاع ، وجميعهم توسعيون يرغبون في ضم الضفة الغربية المحتلة رسمياً وطرد السكان الفلسطينيين متى ما رأوا ذلك ممكناً.
وبلا شك فإن شارون هو رجل النظام القوي وقد سبق له العمل كوزير دفاع في عام 1982م، وقاد حينها عملية الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان. ورغم أن مـنـصـب شـارون الـحـالـي كوزير للإسكان قد يبدو في ظاهر الأمر ليس بالمهم إلا أنه لـيـس كـذلك ، هنا سيقوم شارون بالإشراف على توطين مئات الآلاف من اليهود السوفيات المـهاجرين إلى "إسرائيل" ، وقد بدأ ذلك بالفعل منذ العام الماضي ، هذا بالإضافة إلى قيامه بـالإشـراف على تنسيق وتسليح حركات الاستيطان اليهودية السرية التي تنتشر بين غلاة المستوطنـيـن في الضفة الغربية ، وستوكل لهؤلاء المتطرفين مهمة طرد الفلسطينيين من الضفة الغربية.

أزمة بترولية جديدة :

بينما نعرف أن مقصد القوى العظمى الرئيسي من هذه الحرب هو تدعيم المحور السوري - الإسرائيلي ، فإننا نجد كذلك أن القوى العظمى ترغب في أزمة بترولية جديدة كتلك التي حصلت في عام 1973م ، وذلك لأن ارتفاعاً سريعاً في أسعار النفط سيعطي السوفيات فائدة كبرى خاصة وهم يعتمدون على النفط ضمن بعض المنتجات الـقـلـيـلـة الأخـرى فـي توفير احتياجاتهم من العملات الصعبة ، وسيؤدي هذا الارتفاع المفاجئ في أسـعـار الـزيـت إلـى

جعْل تطوير وتنمية حقول الزيت البريطانية في بحر الشمال أمـراً ذا جـدوى اقـتـصـاديـة مربحة ، إلا أنه سيضع في نفس الوقت ضغوطاً هائلة على ألمانيا واليابان المستوردين للنفط.
هذا وربما كان أحد أهداف هذه الحرب ومراميـهـا هـو خـلـق سابقة في استخدام الأسلحة الكيميائية والنووية ، وهنا يجب ألا نتجاهل المـؤسـسات العنصرية السوفياتية والبريطانية والأمريكية التي تنظر بقلق شديد نحو التكاثر السكاني الـعـربـي ، وتـعـتـبـر هـذه الحرب الناشبة حرباً سكانية ذات تأثيرات مأساوية مفجعة خاصة ما يصيب منها السكان المدنيين عقب الحرب.
والطريقة التي خطط بها الإنكليز والأمريكان الحـرب الأهـلـيـة اللـبـنـانـيـة كوسيلة لتفتيت تلك الأمة - تقدم لنا نموذجا جزئياً أو مصغراً لـطـريـقـة تـفـكـيـرهـم فـي استخدام الحرب كوسيلة لتخفيض عدد السكان. وفي هذا المجال يمكننا أن نطلق على هذه الحرب المدبرة (حرب الشمال والجنوب) .
بدأت حكومة شامير الجديدة أعمالها باستهلال مفاوضات سرية مع السوريـيـن تـوسـطـت فيها السفارة الأمريكية بدمشق ، واستهدفت هذه المفاوضات التي بادرت بـهـا "إسـرائـيل" التأكيد بأن سورية تعلم أنها لن تكون أحد أهداف الـحـرب الإسرائيلية العربية القادمة في الأساس، بالإضافـة إلى تحديـد الأهـداف الـسـوريـة الإسـرائيلية المشتركة. هذا وقد كانت الأرضية المشتركة لهذه المفاوضات أن لإسـرائـيـل وسـوريـة نفـس الأعداء كما أن لهما نفس الأصدقاء.
ويحدد هؤلاء الأصدقاء والأعداء المشتركون الأهداف العسكرية بالإضافة إلى الطريقة التي قد تندلع بها الحرب ، فمثلاً :

منظمة التحرير الفلسطينية :

وهذه لم يعد وجودها مرغوباً فيه سواء من قبل الولايات المتحدة، أو روسيا ، أو "إسرائيل" وسورية ، وأن عملية إسرائيلية محدودة في جنوب لبنان أثناء المرحلة الأولى من الحرب أو قبلها - لَكفيلة بإبادة جيش المنظمة (12) ألف رجل المتمركز في مـنـطـقـة شرق صيدا . هذا وربما تقوم وحدات من الدروز - الذين تسيطر عليهم سورية في جنوب لـبـنـان - بمساعدة القوات الإسرائيلية في إبادة جيش المنظمة. وحتى ولو لم تقم هذه الحرب فـي الـنهاية فإن نفس هذه (العمليات التنظيفية التي تقوم بها سورية و"إسرائيل" ستـؤدي إلى اتـفـاق سـلام إسرائيلي سوري منفرد بشكل رسمي ويتضمن نزع سلاح الجولان الـتـي تحتلها "إسرائيل" حالياً .

العراق :

يعتبر العراق واحداً من الدول الموجودة في المنطقة ولا تـتـنـاسـب سـيـاسـاتـهـا مع السياسة الإقليمية الثنائية ، ويقول الكثيرون إنه من المحتمل أن يكون العراق مكاناً لحرب شاملة. هذا ومن جهة أخرى قد تختار "إسرائيل"

توجيه ضربة إلى حقول النفط في كـركـوك شمال العراق تتزامن مع انتفاضة كردية في الإقليم ، وستوفر هذه الضربة ذريعة لزيادة جديدة في أسعار النفط وذلك أحد أهداف دعم بوش لخطة الحرب ، بالإضافة إلى أنه أحد طموحات البريطانـيـيـن الذين يـسيطرون على متمردي الأكراد. وجدير بالذكر أنه - ولزيادة الضغط على العراق - تقوم المخابرات البريطانية بمحاولات لإساءة العلاقات بين تركيا والعراق .

الأردن :

وصلت علاقات الأردن مع أمريكا إلى أدنى مستوى لها ، وقد تذرع بوش في موقفه الخشن ضد الملك حسين بعلاقات الأخير الوثيقة مع صدام إلا أن السبب الحقيقي هو حل (المسألة الفلسطينية) نهائياً وإلى الأبد. من الممكن دوماً إيجاد ذريعة للحرب ، وفي حالتنا هذه يمكن لإسرائيل بالتعاون مع سـورية - صنع أحداث إرهابية فظيعة ضد السكان الإسرائيليين مما يبرر الحرب كرد فعل. وقد بُرر الاجتياح الإسرائيلي للبنان في عام 1982م بذريعة مناسبة فقد وقعت محاولة لاغتـيـال دبلوماسي إسرائيلي في لندن وقامت بتنفيذها منظمة أبو نضال الإرهابية ، وإنه لأمر بـالـغ الـسهـولة أن تقوم "إسرائيل" بتنفيذ عمل إرهابي دموي كهذا ضد شعبها .
وعند إلقاء نظرة عابرة على الـصحـافـة الأمـريـكـيـة والـبريطانية نجد أن الأساس الدعائي للحرب قد تم بناؤه ، وقد قامت وسائط الإعلام الـغـربـيـة بـالـعـزف على تهديدات صدام حسين لإسرائيل بينما قامت في نفس الوقت بإخفاء التهديدات الإسرائيـلية لمختلف الدول العربية، وقد بدأ هذا السد الإعلامي منذ مارس الماضي بعد تنفيذ حكم الإعدام بالجاسوس الإسرائيلي البريطاني فارزاد بازوفت من قبل العراق .

الصفقة الإسرائيلية السوفياتية السرية :

فـي الحروب وأثـنـاء الاستعداد لها هناك دائماً أدوار داخل أدوار ، ولعل أبرز مثال على تلك الظاهرة في التـطـورات الجـاريـة هو المفاوضات السرية الجاريـة الآن بـيـن "إسرائيل" والسوفيات. وتأخذ هذه المفاوضات السرية شكلاً أكثر تحديداً من المـفـاوضات الجارية بين "إسرائيل" والولايات المتحدة. وتدور هذه المفاوضات حول المواضيع التالية :
(1) التدفق المتواصل لليهود السوفيات على "إسرائيل" .
(2) التعاون الاستخباراتي بين "إسرائيل" والسوفيات في شرق أوربا وأمريكا الجنوبية.
(3) تقليل أو إنهاء الارتباطات الإسرائيلية السرية بـالخاصرة الجنوبية لحلف الناتو . وقد وافق السوفيات الآن على جعل الإسرائيـلـيـيـن القـوة العسكرية والاستخباراتية المهيمنة في المنطقة ، واشترطوا لموافقتهم على الدور العسكري الإسـرائـيـلـي إنـهـاء ارتـباط "إسرائيل" بحلف الناتو . أما موافقة

موسكو على جعل "إسرائيل" القوة الاستخباراتية المهيمنة في المنطقة فيرجع إلى أن الروس سيكسبون كثيراً من المخابرات الإسرائيلية في شرق أوربا وأمريكا الجنوبية على وجه الخصوص. ومن الشخصيات المهمة التي ستلعب دوراً رئيسياً في هذا التنسيق الاستخباراتي ماركوس وولف الرئيس السابق للعمليات الخارجية في الاستخبارات الألمانية الشرقية ، وسوف يتم تنسيق عمليات مشتركة خارج فنلندة والمجر بالاعتماد على ترتيبات يقوم بها تاجر الخمور سي جرام ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي إدجار برونغمان.

خبر وتعليق

نشرت جريدة الحياة - في عددها الصادر بتاريخ 9/11/1990م - الخبر التالي:

"شهدت مدينة الإسكندرية هذا الأسبوع ولادة صرح علمي كبير، إنه الجامعة الفرانكوفونية الإفريقية الدولية للناطقين باللغة الفرنسية ، وقد شارك في افتتاحها رؤساء مصر وفرنسا والسنغال وزائير ، وأطلق على الجامعة اسم الرئيس السنغالي السابق (ليوبولد سنغور) وهذه الجامعة تستقبل الدارسين من مختلف أنحاء العالم ليتم إعدادهم قادة للمستقبل يتولون مسؤولية إدارة المشاريع والشؤون الإفريقية خلال السنوات المقبلة" .

تعليق :

- هكذا تخطط فرنسا ومَن تربى على أيديها مثل ليوبولد سنغور - يخططون للمستقبل البعيد، تكوين القيادات التي تتولى إدارة المشاريع الإفريقية وباللغة الفرنسية، وقد تبرعت فرنسا للجامعة بالأجهزة والمعدات العلمية والخبراء المتخصصين.

فهل يفلح أغنياؤنا-يوماً من الدهر - بإقامة صرح علمي يخرّج قيادات دعوية وإدارية؟، هذه الأمنية التي تمناها يوماً الشيخ رشيد رضا ولم تتحقق حتى الآن . وإلى الله المشتكى .

ركن الأسرة

حليب الأم.. مزايا لا تُعَدُّ

د.محمد هليِّل

عندما نركز جُل اهتمامنا على حليب الأم ، وعندما نستحث الأمهات على إرضاع أطفالهن حليبهن فإننا ندعوهن إلى الفطرة ؛ فهذا الحليب الذي

أجراه الله في صدر المرأة ما خلقه الله عـبـثـاً - تـعـالـى الله - ولكن كما يقول - جل شـأنـه - ((إنَّا كُـلَّ شَـيْءٍ خَـلَـقْـنَـاهُ بِقَدَرٍ))[القمر:49] ، ويقول كذلك : ((فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ))[المرسلات:23] .

إن الصيحات التي بدأت تتعالى في الغرب تزداد يوماً بعد يوم تهيب بالأمهات أن يعُدن إلى الرضاعة الطبيعية وأهمية حليب الأم بعد دراسات علمية كثيرة أكدت هذه الميزات، فعلينا أن نعتبر بهم ومنهم وألا نبدأ من حيث بدأوا ، بل من حيث انتهوا.

قبل أن نعرج على مزايا حليب الأم لابد أن ننوه أن جميع أنواع الحليب المتوفرة في السوق - إلا ما ندر - هي حليب حيواني المصدر ، يؤخذ عادة من الأبقار وتُجرى علـيـه بـعـض التعديلات التي يحاول بها العلماء جاهدين مضاهاة حليب الأم .

ومع هذا تظل هناك فروق قائمة بين الحليب المعدل (الحليب الصناعي) وحليب الأم . يطلق على الحليب المعدل اسم الحليب "المُؤَنْسَن" (Humanized) وهي تعني الحليب الذي يشابه حليب الإنسان .

إن مزايا حليب الأم كثيرة نوجز بعضها في النقاط التالية :

1- مزايا في التركيب (النوعية) :

ليس همنا أن نجهد ذهن القارئ بتفاصيل دقيقة عن الفرق بين حليب الأم والحليب المعدل ولكن الأمثلة التالية توضح الهدف من قصدنا :

إن حليب الأم يختلف عن الحليب المعدل، حتى بعد إجراء التعديلات كافة عليه؛ فكمية البروتينات والأملاح في الحليب المعدل لا تـزال أعـلـى بكـثـيـر مـنهـا في حليب الأم وهذه الزيادة ليست هي الزيادة المحمودة ، فارتفاع كمية الأملاح يـزيـد مـن الجهد الواقع على كُلى الرضيع والوليد لطرح هذه الأملاح خارج الجسم.

إن بعض الدراسات الطبية بدأت تحاول ربط ارتـفـاع ضـغـط الـدم المجهول السبب - عند بعض الكبار -بزيادة كمية الأملاح المتناولة في الصغر، الا أن هذا الربط ليس قطعي الثبوت لحد الآن .

مثال آخر : إن البروتينات الموجودة في الحليب الـمـعدل هي أكبر كمية ، وتختلف نوعية عن تلك التي في حليب الأم . فهي أعسر هضماً لما تكوّنـه من خثارة كبيرة الحجم نسبياً في معدة الطفل الرضيع بعد تناوله الحليب المعدل ، وهذا الحليب المتخثر أعسر هضماً وبالتالي فإن الطفل الرضيع "يُرْجِع" جزءاً كـبـيـراً مـن الحلـيـب المتـنـاول، هذا كثيراً ما تشكو منه الأمهات اللاتي يرضعن أطفالهن حليباً معدلاً .

أضف إلى ما سبق أن تناسب بعض الأملاح في حليب الأم - كـالـكـلـس والـفـسـفـور - هـو تناسب مثالي ، فعلى الرغم من أن كميتي الكلس والفسفور أقل في حليب الأم عـنـهـمـا فـي الحليب المعدل ، إلا أن نسبة

الأول إلى الثاني هي نسبة مثلى تجعل امـتصاص كـل منهما عالياً جداً ، فلا يعيق أحدهما امتصاص الآخر كما هو الحال في الـحلـيـب المعدل لاختلال النسبة بينهما.
أما المثال الثالث : فإن حليب الأم يحتوي على مواد تساعد على امـتـصـاص بعض المعادن الموجودة في الحليب - كالحديد مثلاً - بشكل كبير على الرغم من قلة كميته فيه ، إذا ما قورن بالحليب المعدل الذي يحوي كمية أكبر ولكن الامتصاص أقل بكثير .

2- النظافة والتعقيم :

حليب الأم السليمة يخلو من أي جرثومة ، وذلك أنه يـتدفـق من جـسـم الأم إلى فم الطفل فلا مجال لتلوثه. بعكس الحليب الذي يحضّر في عدة أوانٍ وبمـر بـعـدة خـطـوات من غلي الماء ، وتبريده ، ومزج الحليب بالماء... الخ وكل خطوة من هذه الخطوات قد تكون مصدراً من مصادر تلوث الحليب ؛ لذا فإن معدل إصابة الأطفال الذين يتناولون مـثل هذا الحليب - الذي يحتاج إلى عدة خطوات في التحـضير والإعداد - عـالٍ نـسـبـيـاً ، كـمـا أن مجال الخطأ في كمية الحليب المضافـة إلى المـاء من زيادة أو نقص أمر وارد الحدوث عند تحضير الوجبة مما يضر بالرضيع في كلتا الحالتين.
مهم جداً أن نتذكر أن حليـب الأم يحوي مواد تمنع بشكل غير مباشر الإصابة بالالتهاب المعوي الحاد؛ لذا تندر إصابة الأطفال الذين يرضعون حليب أمهاتهم أن يصابوا بمثل هذه النزلات المعوية.

3- مقاومة الأمراض :

يحتوي حليب الأم المتدفق في الأيام الأولى بعد الولادة - حليب اللبأ - على كميات كبيرة من الأجسام المضادة والخلايـا البـيـضاء والأنزيمات والخمائر وبعض البروتينات التي تقي الطفل كثيراً من الأمراض ، وهذه الميزة مقتصرة على حليب الأم فقط.

4- اليسر وسهولة التحضير :

حليب الأم يسهل الحصول عليه ، ولا يحتاج من الأم جهداً في التحضير - سواء في الليل أو النهار ، داخل أو خارج الـبـيـت - يـقـارن هذا بالوقت والجهد اللازم لتحضير وجبة حليب مع ما يلزم من "معدَّات" التحضير، خصوصا خارج الـبـيـت، أو تحـضـيـر وجـبـة حليب لطفل جائع بعد منتصف الليل!
إن حليب الأم يتدفق من جسم الأم إلى فم الطفل بدرجة حرارة مناسـبة فـلا يـحـتـاج إلـى تسخين.

5- التكلفة الاقتصادية :

إن التكلفة الاقتصادية الشهرية لعائلة ترضع طفلها حليباً حيوانياً معدلاً لا تقارَن بما تكلفه الرضاعة الطبيعية التي لا تكلف شيئاً إضافياً البتة.

6- حليب الأم معقَّم ومعقِّم :
حليب الأم يحتوي على مواد تعقم أمعاء الرضيع والوليد من الجراثيم الضارة كما أن حليب الأم يحمي الرضيع من الإمساك الذي ينتشر بين الأطفال الذين يتناولون حليباً معدلاً.

7- حليب الأم يساعد الرضيع على الشبع بطريقة مضبوطة :
إذ تزداد كمية الدهون في الجزء الأخير من حليب الأم المتدفق أثناء وجبة الرضاعة ، وهذه الدهون التي تختلف نوعاً وكماً عنها في الحليب المعدل - تمنح الرضيع الشعور بالشبع .

8- الراحة النفسية والإشباع العاطفي :
إن الرضاعة الطبيعية تعطي الطفل شعوراً بالأمان أثناء حمل أمه له، وإرضاعها إياه، وهذا الترابط العاطفي يزداد بين الأم والطفل يوماً بعد يوم وهو مهم جداً في تكوين الطفل من الناحية العاطفية والسلوكية.

9- التحسُّس :
الأطفال الذين يتناولون حليباً معدلاً - حيواني المصدر - معرضون للإصابة بأمراض مقتصرة عليهم فقط مثل عدم احتمال حليب البقر أو الإصابة بالتحسس لحليب البقر . كما أن أمراضاً أخرى - كالأكزيما ومغص الرضع - أكثر شيوعاً عند مثل هؤلاء الأطفال.

10- حليب الأم أكثر أماناً وسلامة من الحليب المعدل :
وذلك لتدني نسبة الأمراض التي قد تصيب الرضيع في الحالة الأولى عنها في الحالة الثانية. والأمراض التي قد تشيع بين الأطفال الذين يرضعون حليباً معدلاً هي :
1- الالتهابات المعوية الحادة والمتكررة.
2- أمراض سوء التغذية.
3- توقف النمو والهزال.
4- لين العظام (الكساح).
5- بعض أنواع الجفاف (Hyperosmolar Dehyration)
6- أمراض نقص الكلس مثل : (Neonatal Tetatny)
7- سوء الامتصاص (Malabsorption)
هذه مزايا الحليب الطبيعي ومردوده على الطفل الرضيع. أما الرضاعة الطبيعية - بالإضافة لهذا - فإنها تعود بالنفع على الأم وذلك :
1- يمنح الإرضاع الطبيعي الأم راحة نفسية وطمأنينة تغمرانها، ويسبغ عليها ثقة بنفسها تملأ عليها إحساسها باكتمال أنوثتها وأمومتها.

2- أن الإرضاع كفيل - عند معظم النساء - بالعمل كإحدى وسائل منع الحمل طيلة فترة الرضاعة ، وهذا يقي الأم من الإجهاد الناجم عن تكرار الحمل في فترة قصيرة. وهو أيضاً يعين الأسرة على تنظيم الإنجاب ، كما أنه يعطي الطفل فرصة كافية من التغذية الجيدة من حليب الأم ، والغذاء العادي ، مما يقيه أمراض سوء التغذية. ومهم جداً أن نعلم أن المصادر الطبية تنصح بالرضاعة لمدة سنتين !!
3- لقد أظهرت بعض الدراسات الطبية أن معدل إصابة النساء بسرطان الثدي أعلى عند النساء اللواتي لم يرضعن أطفالهن إذا ما قورنت بالمرضعات وهذه النسبة تقل كلما ازدادت معدلات الإرضاع.
4- أن الإرضاع في الأيام الأولى - التي تلي المـخاض - يـسـاعـد الأم على وقف نزيف دم الولادة، وذلك أن الـرضـاعـة تـحـث الـغـدة الـنـخـامـية على إفراز مواد تزيد من انقباض عضلات الرحم مما يمنع النزف .
إننا لم نقصد بذكر هذه المميزات أن نحصرها بل على سـبـيـل الـتذكير ، وإن كنا قد ألقينا الضوء على بعض التفصيلات التي اقتضاها المقام لإعطاء فكرة أكثر وضوحاً .
* **يتبع** *

امرأة وموقف

أم حبيبة.. رضي الله عنها

مؤمنة الشلبي

مؤمنة قانتة، مهاجرة صابرة، عرف الإيمان طريقه إلى قلبها فعاشت له وتحملت في سبيله العذاب والتنكيل .. هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب .
جمعت - رضـي الله عنها - إلى رفعة النسب والحسب ، الغنى الوافر ، والعقل الراجح ، تزوجها عبيد الله بن جحش ؛ فأسلمت معه وهاجرت إلى الحبشة واعتصمت بدينها حين ارتد ، فـقـضـت أيـامـها في ديار الهجرة بين عذابين : عذاب الغربة ، وعذاب الترمل .. ولكنها - وبإيـمـانـها الـذي سكن جوارحها فأضاءها -استطاعت أن تصمد في وجه المحنة بكل صبر وعزيمة .. إلـى أن خـطبـهـا رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - من النجاشي "ملك الحبشة" الذي أكمل هذا الزواج المبارك بين سيد البشر وبين المرأة المؤمنة الصابرة ، التي عوضها الله بصبرها عن زوجها الهالك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقامت في بيته زوجة مخلصة ، تقدر مسؤوليتها ، وتحرص على إسعاد زوجها الكريم وطاعته.

ولأم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - مـواقـف كـثـيرة مشرقة في حياتها تعتبر أمثلة ونماذج حية لكل الدعاة إلى الله، نختار من بـيـنها ذلك الموقـف الجريء الـعـظـيـم، الذي تتجلى فيه مظاهر الولاء لله ولرسوله وللمؤمنـيـن ، والبراء من الطواغيت ، ومن كل مشرك لا يؤمن بالله ، وإن كان أقرب قريب.

الموقف :

ذكر ابن سعد - في كتابه "الطـبـقـات" - أنـه لـما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهـو يـريـد غـزو مـكـة ، فـكـلـمـه أن يـزيـد في هدنة الحديبية ، فلم يقبل عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فقام ودخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي - صلى الله عليه وسلم - طوته دونه فقال : يا بنية أرغبتِ بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ، وأنت امرؤ نجس ومشرك ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله.
فقال : "يا بنية ، لقد أصابك بعدي شر " ! ، ثم خرج .

تحليل الموقف :

وهكذا قُدر لأم حبيبة - رضي الله عنها - أن تواجه والدها بعد فـراق دام سنوات منذ أن أسلمت وفرّت بدينها إلى الحبشة ، وأذهلتها المفاجأة... حتى أنها لم تـدرِ ما تقول ... بل كيف تستقبل والدها سيد قريش وزعيمها المطاع ... ولعل أبا سفيان قدر المـوقـف والـتـمـس لابـنـتـه الـعـذر، إذ لم تسـتـقـبلـه، ولم تدْعُه للجلوس، فتقدم بنفسه ليجلس على البساط المفروش في ركن الحجرة... وفجأة تعود المؤمنة إلى هدوئها لتـتصرف أمام هذا الحدث بكل رباطة جأش وعقيدة راسخة، لا مجاملة فيها ولا محاباة، لتطوي البساط المـتواضع، قـبـل أن تدوس عليه أقدام الشرك والطغيان المتمثلة في أبيها آنذاك، ووقف أبو سفيان حائراً إزاء ما فعلته ابنته،فسألها: هل كان طيك للفراش لأنك لا ترغبين أن أجلس عليه لسبب ما ؟! أم أنك طويته لأنك ترين أنه فراش لا يليق بمكانة أبيك ؟؟
وأجابت أم المؤمنين بـثـبات ، وثقة ، واستعلاء إيمان ، غير جازعة من سلطان سيد قريش وجبروته ، قائلة : بـل هـو فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنت رجل مشرك ونجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله.
ولم يكن من أبي سفيان - وهـو يـسـمـع هـذه الـكـلـمـات الـقاسية التي لم يكن يتصور على الإطلاق أن تتفوه بها ابنته - إلا أن كبح جماح غضبه فـقـد تـذكـر الـمـهـمة التي جاء من أجلها ، وقال لها - وهو يتميز من الغيظ - : "لقد أصابك يا بنية بـعدي شـر" ، ثم خرج غاضباً ؛ ليبحث عن شفيع آخر ليتابع مهمته... ولكن أنَّى للكفر أن يـجـد لـه شفيعاً بـيـن هؤلاء المؤمنين الذين

تغلغل حب الله ورسوله في نفوسهم... فلم تعـد تخـدعـهـم الـمـظـاهـر الجوفاء ولا القوى والاعتبارات التي تتعبد الناس في الجاهلية.
وكم نحن بحاجة ماسة - ونحن في غمرات الفتن العظيمة والأحداث السريعة المتلاحقة - لترسيخ عقيدة
الولاء والبراء في النفوس ؛ حتى لا يتكالب أعداء هذا الدين عليه من كل حـدب وصوب ، طامعين في إطفاء نور الله بكل الوسائل المتاحة لهم...
هدفهم الأول والأخـيـر تشويه صورة الولاء والبراء ، وفسخ ولاء المسلم لدينه وإخوانه المؤمنين وزعزعة برائـه وعداوته للكفار ، عن طريق نشر الدعوات الهدامة بأسماء براقة من قومية ، ووطنية ، و عالمية ...
وأفلح الاستعمار في تكوين جيل يرفض العمل تحت لواء الإسلام ويـسـتـحي من الانتساب إليه وأصبح عوناً لأعداء هذا الدين وقدم ولاءه وتبعيته لهؤلاء.
وهنا نتساءل.. أين فتيات عصرنا - المبهورات بفتنة الغرب المتمردات على حياة الزوجية - من أم حبيبة التي لم تعرف صلة إلا صلة الإسلام ، ولم تعرف ولاءً إلا لله ورسوله ، ولم تعلم براءً إلا من الكفر والشرك ؟!!
أين فتياتنا ونساؤنا اللاتي انخدعن بالحياة الدنيا وزينتها وشهواتها ؛ فغمر قلوبهن وران عليها حب المال والشهوات.. من تلك المؤمنة التي غمر قلبها حب الله وحب رسوله فلم يبقَ فيه إلا تلك المحبة الطاهرة ؟!
أين أنتن يا مَن ترتعد فرائصكن خوفاً وذعراً من البوح بكلمة الحق ... من تلك التي ضنت بفراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أبيها ، وقالت له تلك الكلمة القاسية وهو الذي لم تسمع منه إلا طيب الكلام وأحسنه ؟!
شتان ما بين حال فـتـيـاتـنـا الضائعات الـمـشـغولات بالتافه من الأمور، وحال تلك الصفوة المباركة من أمهات
المؤمنين، والصحابيات الجليلات، والمؤمنات اللاتي أشرقت قلوبهن بنور الله؛ فـلـم يتلكأن في طاعة الله ورسوله ، والبراء من كل معصية لهما ...
أما آن الأوان لنسائنا وفتياتنا أن يتحلين بتلك الصفات ويمددن أياديهن للمساهـمـة في بناء صرح الإيمان ؟ ، ألم يأنِ لقلوبهن أن تصبح عامرة بحب الله وحب رسوله ؟ .
إن هذا لن يكون إلا بالبراءة من كل منهج وتشريع غير منهج الإسلام ، والبـراءة مـن كـل فكر يناقض هذه العقيدة التي كانت سبب ظهور الرعيل الأول من النساء المؤمنات.

نسخة من الإنجيل لكل إنسان !

حسن الليدي

كتبت مجلة "וورلد مونيتور" الشهرية - الصادرة عن مؤسسة "كريستيان ساينس مونيتور" في عددها لشهر ديسمبر عام 1990م وتحت عنوان "عقود الإنجيل" - تقول :
"إن أعجب زيادة في توزيع الإنجيل حصلت في فترة قريبة هي تلك التي تمت في الاتحاد السوفييتي، ففي خلال عامين - وبالتحديد من يوم أن كتب "هارفي كوكس" مقالته في عدد مجلتنا الأول في يناير عام 1988م والتي كانت حول ندوة الأناجيل في روسيا - تم توزيع ملايين النسخ مجاناً على الناس هناك. وإذا مـا أخـذنا في الاعتبار التوزيعات التي قامت بها مؤسسة (جمعيات الإنجيل المتحدة) في الفترة التي تلتها ، نجد أنه في مقابل 22000 نسخة وزعتها المؤسسة عام 1980م تم توزيع 227.775 في عام 1989م و596.200 نسخة حتى منتصف هذا العام (1990م) . وهذه المؤسسة هي عبارة عن ائتلاف بين (110) جمعية في إطار لغاية واحدة هي:"إيصال الكتاب المقدس لكل إنسان على الأرض" .
كما نشرت المجلة أيضاً خريطة بيانية لأرقام التوزيعات في عامي 1970م و 1989م وهي عـبـارة عـن إحـصـاءات لـجـهـود المؤسسة السالفة الذكر للتوزيعات المجانية دون اعتبار التوزيع التجاري (حيث إن ذلك خارج عن نطاق عمل المؤسسة). ومجموع هذه التوزيعات يشير إلى أن العدد قد تضاعف ثلاث مرات على الأقل خلال العقدين الماضيين (5159022 عام 1970م - 15686040 عام 1989م) وذلك في مختلف بـلاد الـعـالـم مـا عدا الصين؛ حيث تمنع الحكومة عمل المبشرين ، ومع ذلك فقد تجاوز عدد الأناجيل المباعة تجارياً فيها أربعة ملايين نسخة منذ عام 1980م. وتوضح الخريطة الإحصائية كذلك تزايد التوزيعات في كثير من البلاد العربية والإسلامية كمصر والسودان والأردن والخليج العربي وبنغلاديش ، وتشير الأرقام المدرجة مثلاً إلى أن حجم التوزيع قد تضاعف أربع مرات في كل من الباكستان ومصر خلال العشرين عاماً الماضية.
وتضيف المجلة "... وعدد نسخ الإنجيل الي تمت طباعتها من يوم أن اكتشف الإنسان الطباعة الآلية يزيد على (3) مليارات نسخة" ! .
ولا يحتاج خبر مثل هذا إلى كثير إيضاح أو إطالة تعليق !
فالذي لا ريب فيه أن الباطل يقظان وأهله جادون فيما يريدون . والكفر تعمل أجهزته في بلاد عربية وغير عربية جهاراً نهاراً على التشكيك في الإسلام وطمس حقائقه والتشويش على عقول من استطاعوا من أتباعه. ولسنا نقصد التهويل من شأن الباطل وما يفعلون ، لكن القرآن يعلّمنا أن سنة الله هي أنه لا قيام للباطل إلا في غياب الحق وعند غفلة أهله ((وَقُلْ جَاء الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً))[الإسراء:81] ، وهذا بيت القصيد . فبرغم ما نرى من بشائر الصحوة الأكيدة ومن إنجازات مباركة في كثير من المجالات إلا

أن مـضـاعـفـة الـجهود وتطويرها كماً وكيفاً أصبحت أمراً لا يمكن القبول بأي تهاون فيه، ونحن نعيش في عالم أصبح يرى في الصحوة الإسلامية خطراً يعيقه ويهدد مصالحه. ومطلوب من الدعاة إلى الله - الذين يناط بهم أمر رفع راية الإسلام والتعريف به ونشره - أن يأخذوا أنفسهم بشيء من الجد في هذا السبيل ، وأن يكون لهم في جهود أهل الباطل ومثابرتهم درس وعبرة ، فإنه من المهانة أن لا نكون أقدر على الحركة بحقنا ونصرته والإقناع به من دعاة الباطل الذين يركبون فيه الصعب والذلول .

بأقلام القراء

حياة القلوب

لابد للداعية في هذه الحياة المليئة بالفـتـن والمصائب أن يخلو بنفسه وأن يلتفت إليها حتى لا يخسرها - بعد ذلك - وتكون عبئاً ثـقـيـلاً عليه . فإذا تدارك الداعية نفسه فلم يهملها وعالجها في وقتها يكون قلبه حياً ويصبح أمره سهلاً . وعجيب أمر القلب !! فهو لا يثبت على حال أبداً وما سمي القلب قـلـبـاً إلا لكـثـرة تـقلبه... فكل شيء يؤثر فيه !! وكل أمر يغير منه بقدر... إذاً فلابد من تعاهده والمحافظة على استقامته وإصلاح هفواته ولهواته...
وأول سبب لحياة القلب هو الاستجابة لله ولرسوله... ففـيـهـا حـياة للقلب.. وحياة للنفس وحياة للمجتمع كله..((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّـهِ ولِلرَّسـُولِ إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ وأَنَّهُ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ))[الأنفال:24] .
يقول سيد قطب - رحمه الله - في هذه الآية : إنها دعـوة إلـى الحياة بكل صور الحياة ، وبكل معاني الحياة.. إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والـعـقـول ، وتطـلـقها من أوهام الجهل والخرافة ، ومن ضغط الوهم والأسطورة ، ومن العبودية لغير الله والمـذلـة للعبد أو للشهوات سواء..
ويدعوهم إلى شريعة من عند الله تعلن (تحرر) الإنسان وتكريمه بصدورهـا عن الله وحـده ، ووقوف البشر كلهم صفاً متساوين في مواجهتها ، لا يتحكم فرد في شعب، ولكنهم ينطلقون كلهم أحراراً متساوين في ظل شريعة صاحبها الله رب العباد .
ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله ، لتقرير ألوهية الله - سبحانه - فـي الأرض وفي حياة الناس وتحطيم ألوهية العبيد المدَّعاة ومطاردة هؤلاء المعتدين على ألوهــيـة الله - سبـحانه وتعالى - وحاكميته وسلطانه ؛ حتى يفيئوا إلى حاكمية الله وحده ، وعندئذ يكون الـديـن كله لله. حتى إذا أصابهم الموت في هذا الجهاد كان لهم في الشهادة حياة.

ذلك مجمل ما يدعوهم إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو دعوة إلى الحـياة بـكـل معاني الحياة.. بكل صورها وأشكالها ، وفي كل مجالاتها ودلالاتها. والتـعـبـيـر الـقـرآنـي يجمل هذا كله في كلمات قليلة موحية : يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّـهِ ولِـلـرَّسُـولِ إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)) .
استجيبوا له طائعين مختارين وإن كان الله - سبحانه - قادراً على قهركم على الهدى لو أراد : ((واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ)) .
ويا لها من صورة رهيبة مخيفة للقدرة القاهرة اللطيفة..! ((يَحُولُ بَـيـْنَ الـمَـرْءِ وقَـلـْبِهِ))؛ فيفصل بينه وبين قلبه ، ويستحوذ على هذا القلب ويحتجزه، ويصرّفه كيف شاء، ويقلبه كما يريد . وصاحبه لا يملك منه شيئاً وهو قلبه الذي بين جنبيه!
إنها صورة رهيبة حقاً يتمثلها القلب في النص القرآني ، ولكن التعـبـيـر البشري يعجز عن تـصـويـر إيـقاعها في هذا القلب ، ووصف هذا الإيقاع في العصب والـحـس ! إنـهـا صـورة تستوجب اليقظة الدائمة ، والحذر الدائم ، والاحتياط الدائم .
اليقظة لخلجات القلب وخفقاته ولفتاته ، والحذر من كل هاجسة فيه وكل ميل مخافة أن يكون انزلاقاً ، والاحتـيـاط الـدائـم للمـزالق والهواتف والهواجس.. والتعلق الدائم بالله - سبحانه - مخافة أن يقلب هذا القلب في سهوة من سهواته، أو غفلة من غفلاته، أو دفعة من دفعاته.. ولقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو رسول الله المعصوم يكـثـر مـن دعاء ربه: "اللهم يا مقلب القلوب ثَبِّتْ قلبي على دينك" .. فـكـيف بـالـنـاس وهـم غـيـر مرسلين ولا معصومين ؟!
ومما يعين على حياة القلب : دوام ذكر الله - عز وجل - فنعم الزاد الذي كان يتغذى به الصالحون وينعم به العارفون كما قال ابن تيمية - رحمه الله - : الـذكـر للـقـلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟!.

هذه غدوتي !

يقول ابن القيم : وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمـية مـرة صلى الفجر ، ثم جلس يذكر الله - تعالى - إلى قرب من انتصاف النهار ، ثم التفت إليَّ وقال : "هذه غدوتي ، ولو لم أتغدَّ هذا الغداء لسقطت قوتي" ، أو كلاماً قريباً من هذا . وقال لي مرة : لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر"..
فمتى كان القلب حياً.. كانت صلته بالله - تعالى - أعـظـم وأقوى... والقلب الموصول بالله دائماً هو الذي لا يشغله عن ذكره شاغل ولا يلهيه عنه لاهٍ .. فـفـي كـل أمـر يذكر الله - تعالى - .. في نومه وانتباهه.. وأكله وشربه..

ودخوله وخروجه.. وجلوسه وقعوده.. وجميع أمور حياته..((الَذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ))[آل عمران:191].
فهذه هي الحياة الحقيقة.. حياة القلوب.. لا حياة الجسد وحده.. فكم من حي ميت وكم من ميت حي..

مَن هو القدوة ؟!

"فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر : هل هو من أهل الذكر ؟ أو هو من الغافلين ؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي ؟! فإن كان الحاكم عليه الهوى وهو من أهل الغفلة ، وأمره فُرُط ، لم يُعتدّ به ولم يتبعه فإنه يقوده إلى الهلاك ؛ قال - عز وجل - ((ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً))[الكهف:28] .

عبد السلام بن محمد الحمدان

مقتطفات

التقوى : قال ثابت البناني : قال أبو عبيدة : "يا أيها الناس إني امرؤ من قريش وما منكم من أحمر ولا أسود يفضُلني بتقوى ، إلا وَدِدتُّ أني في مسلاخه" . (1)
(سير أعلام النبلاء 1/18)

الإنفاق : عن سعدى بنت عوف المرية قالت : "دخلت على طلحة يوماً وهو خاثر (2) ، فقلت: ما لك؟! لعلك رابك من أهلك شيء؟، قال: لا والله، ونِعم حليلة المسلم أنت، ولكن مال عندي قد غمني ، فقلت : ما يغمك ؟ ، عليك بقومك ، قال : يا غلام ! ادعُ لي قومي فقسِّمْه فيهم ، فسألت الخازن : كم أعطى ؟ قال : أربع مئة ألف .
(سير أعلام النبلاء ، 1/32)

1- المسلاخ : الجلد.
2- ثقيل النفس غير نشيط.

تضييع القرآن والعمل به

عن جيلان بن أبي الجلد قال : "لا يذهب الليل والنهار حتى يَخْلق هذا القرآن في قلوب رجال كمثل الثوب البالي الذي يتهافت ، لا يجدون حلاوة له ولا لذة . إن ترك أحدهم بعض ما أمر به تال : إن الله غفور رحيم ! وإن ركب بعض ما نهي عنه قال : إنه سيغفر لي إني لا أشرك ! كل أمرهم إلى الطمع ، وليس معهم من الخوف شيء، خيرهم في أنفسهم المداهن" .
(الكُنَى والأسماء للدولابي ، 1/40)

المجاهدة:قال ثابت بن أسلم : "كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة".
(النبلاء ، 5/224)

الإخلاص : عن سعد بن إبراهيم قال : مروا على رجل يوم القادسية ، وقد قُطعت يداه ورجلاه ، وهو يفحص ، وهو يقول ((مَعَ الَذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً)) [النساء:69] ؛ قال : فقال : مَن أنت يا عبد الله ؟ قال : "أنا امرؤ من الأنصار" .
(أخرجه ابن أبي شيبة 15597/15589)

هلاك الناس بذهاب العلماء : قال هلال بن خباب أبو العلاء : سألت سعيد بن جبير ، قلت : يا أبا عبد الله ما علامة هلاك الناس ؟ قال : "إذا هلك علماؤهم" .
(أخرجه ابن أبي شيبة 19053 ، وأبو نعيم 4/276)

إعداد : عبد العزيز بن محمد

مازال أصحاب الطاقات المبدعة ، وأصحاب الأقلام الصادقة يكتبون لأنفسهم ، حتى نرى للكتابة أناس ينفثون سمومهم ، ويسمونه أدباً ((وَإذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ))[البقرة:11] ، فمتى يرتب المخلصون أوراقهم المتناثرة ؟ ، ومتى نرى كلماتهم الصادقة وتوجيهاتهم المنيرة؟ ، ولماذا لا يدفعون زكاة علمهم وأدبهم؟ ؛ فإن آلاف الكلمات التي كتبها المرتزقة قد تصدها كلمة صادقة من قلب غيور.

صالح حسن

غيرة لله

في هذه الأيام وجد من يتجرأ على الإسلام وأهله ، فيتكلم عن الحجاب وإبعاد المرأة المسلمة عنه ليحفظ لها مكانتها ، ونقول لهؤلاء رويدكم يا أدعياء التقدم ، لقد تطاولتم ، وتعديتم حدودكم ، وأعلنتم الحرب على الله ورسوله والمسلمين.

ومن كان هذا دأبه فإننا سوف نحاربه ، ولن نغفل عنه ، طالما أننا رضينا بالحجاب ستراً وحفظاً للمرأة؛ لأن هذا هو ديننا الذي لن نتخلى عنه مدى الحياة، فأربعوا على أنفسكم ، وكفافكم نعيقاً ؛ فإن نور لا إله إلا الله لم ينطفئ بعد ، ونعدكم أنكم كلما نعقتم فإننا سوف نعلن حرباً عليكم ، فلا تتمادوا في غيكم . ويا أيها الناس اعلموا أن هؤلاء أدعياء ضلال لا تقدم وإلا فإن لكل ساقطة لاقطة.

أم زياد - المدينة المنورة

للعلماء والدعاة

قد تكون الأحداث التي تعصف بالمنطقة فرصة مواتية لخروج بعض الإفرازات المتوقعة في المستقبل القريب.
والسبب الذي يدفعني لهذا الظن هو أن مشكلة الخليج حدث خارج عن حدود التوقعات المحلية في بداياتها ، وكذلك خارج حدود التوقعات في نهايتها ، لا أشك في أنها ستنتهي طال الزمان أو قصر. لكنها لن تنتهي إلا وقد أفرزت أحداثاً غير متوقعة أيضاً. ربما بقانون "النتيجة تتبع المقدمات" ، وربما لأن هذه الإفرازات فيها بُعد عن الواقع السياسي إلى حد مما يستدعي الغفلة عنها.
إن هذه المشكلة لم تنشئ هذه الإفرازات ابتداءً ، لكنها قد تهيئ لها ظرفاً مناسباً للبروز على السطح من خلال الدعوات المعروفة والمتعلقة بالديمقراطية ، والمرأة ، والعلمانية ، وغيرها.
وعلى ذلك فإني أوجه دعوة للعلماء والدعاة الإسلاميين ألا يكونوا بعيدين عن تفاصيل الأحداث ، أثناء هذه المشكلة وبعدها ، بل عليهم أن يقتربوا منها أكثر مما عداها وذلك لأمور :
الأول : أن الأحداث قد تفرض بعض النظم الإدارية ، وهذا النظام لابد له من دراسة وتمحيص وبكل دقة. ولابد من التروي في استيعاب هذا العمل استيعاباً تاماً وعميقاً .
الثاني : أن هذه النظم إذا أثبتت صلاحيتها شرعاً لابد لمن ينخرط فيها من رؤية شرعية واضحة ، وحكمة سلوكية تبعث على الثقة والانشراح.
الثالث : قد تُستغل هذه الأمور من قبل بعض الانتهازيين والوصوليين ، فيبدأون بطرح أفكارهم المشوشة ، وهم - كما عهدناهم - لا تعجزهم الحيلة من التذرع بأي فكرة أو موقف ليبرروا تلك الأفكار بما يضفي عليها شيئاً من الشرعية المقبولة.
على أية حال يجب ألا يشغلنا هذا الواقع عن دراسة مشكلة الخليج برؤيتنا نحن ، وعقولنا نحن ، بعد تجميع أطرافها ومراجعة أصولها القديمة وإفرازاتها المستقبلة. فلابد من ربطها بما يشاهد سياسياً وإدارياً وفكرياً ؛ لكي نعلم مدى ارتباط هذه الأفكار بالمشكلة ، ثم لنجيب على هذا السؤال : هل أُرِيدَ من وراء هذه المشكلة خلق جو مناسب لهذه الأفكار ؟
في الحقيقة سنتساءل وسنجد حلاً ولو ساذجاً مؤقتاً ، ولكن يجب ألا نقول : "هذا واقع اتفاقاً ، وهذا كان صدفة" .
فهيد عبد الله المطيري

إنصافاً للصحافة العربية

عبد القادر حامد

القول بأن الصحافة العربية لا تصور واقع العرب أصدق تصوير بعيد عن الدقة ... فمَن يقول ذلك خيالي يكاد يطلب المستحيل ؛ إذ يعتقد أن على الصحافة أن تعكس واقع هذه الجموع المكدسة ، بينما هي مجرد جموع خالية من الفاعلية والتأثير.

إن الحقيقة التي لا مرية فيها أن هناك اتحاداً واندماجاً بين هذه الصحافة وبين القلة التي تنطق باسمها، فهي صحافة نُخَب وليست صحافة جماهير، وإن ادعى بعض القائمين عليها غير ذلك ، فهذا ادعاء لا يغير من الحقيقة شيئاً ؛ ولذلك فإن هذه الصحافة صادقة في نقل واقع مَن تنطق باسمه كل الصدق ، (إذا أردنا بالصدق : انطباق الوصف على الواقع،لا المعنى الشرعي المفهوم من قوله تعالى :((وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) [التوبة:119]) . وهي سجل أمين، سواء سكتت أو نطقت، لأن سكوتها عن أشياء هو إفصاح من جهة أخرى ، فإذا وجدنا أنها لاذت بالصمت على أمر نعتقد - نحن الجموع المكدسة - أنه لا يحسن السكوت عليه فكأنها تقول لنا : مهلاً يا قوم، لا تحمّلوني ما لا أطيق، لقد ألجمني لجام الرغبة والرهبة، فقد نشأت في حِجر مَن غذاني ورعاني؛ فكُتابي ربتهم مدارسه، ومناهجه وبعثاته، وورقي وحبري من خزائنه ، واشتراكاتي و إعلاناتي - التي تحفظ عليَّ حياتي - قائمة على موظفي دواوينه وشركاته ! ؛ فكيف تظنون أنني أقوى على إنكار كل هذا الفضل وجحود كل هذا المعروف ، فأتكلم عن صغائر أصحاب الدواوين وأذكرهم بما يكرهون ؟! ، ألا تعلمون أن ذلك غيبة والله نفَّر من الغيبة أبلغ تنفير؟! هل تُراكم لم تقرأوا ما كُتب عن جزاء المعروف : عرفاناً أو جحوداً في الأدب العربي؟! ، لو نطقت الصحافة العربية لقالت : نحن نعكس واقعاً حياً على عُجَره وبُجَره ، وأنتم يا ناس - أيها الجموع المكدسة - أموات غير أحياء لا تدرون أيان تُبعثون !

تمت بعون الله وفضله والحمد لله رب العالمين؛